تاريخ اليمن القديم

تأليف

زيد بن علي عنان

المطبعة السلفية

تاريخ اليمن القديم

تأليف

زيد بن علي عنان



الاهـــداء

إلى من ضرب بيده الكريمة أول معول فى بينون وغيمان والنخلة الحمراء ليصل ماضى اليمن بحاضرها

إلى مولانا صاحب العرش المفدَّى الإمام الناصر أحمد بن يحي حميد الدين ملك اليمن المعظم . أدام الله نصره

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين

هذا وقبل أن أعرض أهداف هذا الكتاب فى هذه المقدمة أتوجه أولا بالشكر الجزيل لمولانا أمير المؤمنين الناصر لدين الله ملك اليمن المعظم أحمد بن يحيى حميد الدين حفظه الله ، فقد استمددتُ نشاطى وهمتى فى مواصلة الأبحاث العلمية للآثار اليمنية من أعماله المجيدة الخالدة فى بينون وغيمان والنخلة الحمراء ، ولم يكن أحد يفكر فى هذه الآثار آن ذاك ، لولا ما قام به مولانا أمير المؤمنين فى هذه الأماكن من البحث العلمى المجيد ، فهو بحق أول من ضرب بيده الكريمة أول معول فى نبش آثار حضارتنا العريقة فى القدم . وقد أولانى ثقته ـ حفظه الله ـ حين أرسلنى مشرفاً على أعمال الحفر بمأرب الذى قامت به البعثة الأمريكية المشئومة برآسة وندل فيلبس ، ذلك اللص النصاب الذى جنى على دعائم محرم بلقيس وقد سقطت وتهدمت . وكان لا يهمه هذا ، وإنما يهمه الحصول على النقوش مهما دمر من الآثار القائمة . ولعجز هذه البعثة وفقرها من المعدات والخبراء . ولما ألزمه مولانا الإمام باعادة ما دمره من الاسطوانات ، وليس لديه حتى كيس من الأسمنت أو عمود من الحديد يدعمها ، فقد فرّ هارباً متلبساً بجريمته إلى الأبد

وبعد فلما كانت الحاجة داعية إلى وضع تاريخ لحضارة اليمن القديم ، والوقوف على حضارته الباهرة التى كانت السبب أو أحد الأسباب فى تمدن الأمة العربية القديمة ، ولما كانت التواريخ التى نشرها المؤرخون الغربيون لم تكن حافلة بالمراد ، وفى بعضها تشويه أو

غمط لتاريخ بلادنا ، فقد توكلت على الله فى سلوك أصعب عمل فى هذا السبيل الوصول إلى حقيقة يطمأنُّ اليها فى تاريخ الحضارة اليمنية التى شغلت علماء العاديات وعلم الآثار منذ زمن بعيد ، وقد تحمل أكثرهم مصاعب جمة فى أسفارهم الطويلة المحفوفة بالمخاوف والأخطار للوقوف على هذه الآثار وقراءة كتاباتها كما سيأتى

وقد أتيت على ذكر العلماء الذين وصلوا إلى اليمن لكشف آثارها . ثم عرضت آخر ما وصل اليه العلم الحديث عن مهد الساميين الأصلى وأنه جزيرة العرب ، وأن اليمن أصل هذا المهد ، ومنه هاجر البابليون والأشوريون والرعاة . ثم عرضت نبذة من النقوش الحِمْيَرية مع حلها ، بعضها مما نشره علماء الآثار والبعض الآخر مما وجدته فى عدة مناطق رحلت اليها . ثم أتيت على تفنيد بعض الروايات وخصوصاً ما يقال عن المعينيين والسبإيين والحميريين ، وأكدت أن أصل هذه الدول واحد ، وأن الخط المسند أصل جميع الخطوط

ولما كان ذو القرنين عربياً مؤمناً كما جاء فى القرآن الكريم وما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه حميرى ، فقد أوردت تاريخ الاسكندر بن فيلبس المقدونى لإزالة ما علق بالتاريخ من الأغلاط والأخطاء التى قد تكون مقصودة أو غير مقصودة ، لا سيما وأن الآثار والنقوش التى نشرها المستشرقون لم تكن كافية ، وما وجدوه فانما هو نتف مبعثرة هنا وهناك . والله ولى التوفيق

المؤلف

المصادر

من المصادر التى لا غنى عنها التوراة وان كان هذا المصدر لايغنى التاريخ إلا من حيث أسبقيته إلى ذكر الأمم الغابرة مع ما فيه من التحريف . والمرجع الجليل هو القرآن الكريم فقد أخبرنا الله تعالى عن الأمم القديمة كعاد وثمود ، غير أن القرآن الكريم كتاب هداية وعبرة بالأمم السابقة ، لا كتاب تاريخ مفصل ، فقد ذكر قوم نوح عليه السلام ومن بعدهم كعاد وثمود وسبأ وقوم تبع للعبرة . ومما لا مرية فيه أن الباقى فى أيدى الناس من تاريخ العرب القديم سقيم ، وبالخاصة تاريخ اليمن . وأن تاريخ العرب المدون وأشعارهم التى حفظت بالتوارث لاعتمادهم على الذاكرة لا تسد حاجة التاريخ العربى سداً يكتفى به المؤرخ . ومع أن أشعار العرب وأمثالهم لا تخلو من الإشارة إلى حضارة زاهرة فكل ما جاء فيها قد امتزج ببعض الأقاصيص التى ربما نعتبرها خرافة لا نصيب لها من الحقيقة ، فى حين أنها فى الغالب صحيحة ولكن مبالغ فى أصلها مبالغة قد تحملنا على إنكار وقوعها

ومن المصادر أيضاً كتب المؤرخين وهى قسمان : الأول ما جاء عن اليونان وفيها ذكر عرب الجاهلية نظراً لقرب عهدهم بهم ومعاصرتهم لهم واشتراكهم معهم فى التجارة وغيرها ، ونذكر هنا أهمها مع أسماء الرجال الذين برزوا وظهروا فى التاريخ ظهوراً كبيراً ، وسنعتمد على ما جاء فى تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ، وأولهم (هيرودتس) الرحالة اليونانى ويسمى أبا التاريخ المتوفى فى أوائل القرن الخامس قبل الميلاد . وقد جاء ذكر العرب فى تاريخه عرضاً فى أثناء الكلام عن الحروب بين الفرس والمصريين على عهد قمبيز فى القرن السادس قبل الميلاد ، ثم بروسوس مؤرخ الكلدان المتوفى فى نحو الثلاث المائة قبل الميلاد ، ذكر من العرب دولة حكمت بابل . وغيرهم كثير ، وكلهم من مؤرخى اليونان وجغرافييهم قبل الميلاد

وفى أوائل النصرانية نبغ استرابون الرحالة اليونانى المتوفى سنة ٢٤ بعد الميلاد ، وقد ذكر بعض قبائل العرب ، وأفرد استرابون للعرب فصلا خاصاً فى الكتاب

السادس عشر من مؤلفه الجغرافى ذكر فيه مدائن العرب وقبائلهم على عهده ووصف كثيراً من أحوالهم الاجتماعية والتجارية وحملة اليوس غالوس الشهيرة بفتح جزيرة العرب وما كان من فشله فى نحو أربعين صفحة . وجاء بعده آخرون وماتوا فى القرن الأول للميلاد . وكذلك يوسيفوس الاسرائيلى تكلم عن عمالقة مصر . وفى أواسط القرن الثانى للميلاد نبغ بطليموس القلوذى[1] فألف جغرافيته الشهيرة جمع كل ما عرف اليونان قبله من أحوال العالم كما فعل ياقوت بجغرافية العرب ، وخصص بطليموس جزءاً من كتابه لبلاد العرب فذكر مدنها وقبائلها وعين الأماكن باعتبار الدرجات طولا وعرضاً بشرح واف ووصف كثيراً من أحوال العرب التجارية . ويلى هذا كثير ما بين سنة ١٦٠ و ٥٦٧ للميلاد وكلهم أوردوا شيئاً من أحوال العرب عرضاً لا يخلو من فائدة . وإنما المرجع فيما وصل الينا من كتابة اليونان عن العرب إلى استرابون وبلينيوس وبربلوس وبطليموس فانهم جمعوا ما قاله سواهم وفصلوه ، ولهؤلاء المؤلفين على تشتت ما كتبوه فضل كبير على تاريخ العرب فانهم أوضحوا كثيراً من غوامضه فذكروا دولا وقبائل وأماكن لم يعرفها مؤرخو العرب على الاطلاق[2] كدولة الأنباط والمعينيين والسبأيين وغيرهم . عن كتاب (العرب قبل الاسلام) باختصار يسير

ومن المصادر العربية سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢٦٨ هجرية وفيها ذكر الملك تبان أسعد وغزوه يثرب إلى ذى نواس وقصة الأخدود وخروج الأحباش إلى اليمن . وكل ذلك فى نحو ٦٠ صفحة

ثم تاريخ الطبرى المتوفى فى سنة ٣١٠ هـ تكلم عن عاد وثمود وملوك اليمن . ثم المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ صاحب مروج الذهب بعد الطبرى . ومن قراءة هذين المؤلفين نجد

---

(١) جاء ذكره فى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى بلفظ القلودى بالدال المهملة

(٢) لعل صاحب كتاب العرب قبل الإسلام الذى اعتمدنا عليه فى بعض هذه الأبحاث مبالغ فى عبارته كما سيتضح ذلك قريباً

تشابهاً كثيراً يدل على أن المسعودى أخذ عن الطبرى ثم اليعقوبى وهو قبل المسعودى. وقد طبع هذا المؤلف فى العراق بمطبعة الغرى (النجف) . ومات أحمد بن أبى يعقوب المعروف بابن واضح الأنبارى فى سنة ٢٩٢ هـ

وتاريخ ابن الأثير طبع مصر وأخذ هذا عن الطبرى، وعن ابن الأثير أخذ أبو الفداء.

ثم ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان المتوفى فى سنة ٦٢٦ هـ

ثم معجم ما استعجم للبكرى. وهذا المؤلف نادر وقد رأيته فى المكتبة الأثرية ببغداد. ثم تاريخ حمزة الأصفهانى، وأبو الفرج الاصفهانى صاحب كتاب الأغانى، ثم ابن خلدون، ثم الهمدانى صاحب جزيرة العرب والإكليل. وهذا الأخير هو الحجة فى تاريخ اليمن وهى بلاده . وقد جاءت أبحاثه مطابقة تماماً لما وجده علماء الآثار. وهناك مراجع أخرى كالثعالبى صاحب لطائف المعارف المطبوع فى مصر، ونهاية الأرب فى قبائل العرب للقلقشندى، وكتاب المعارف لابن قتيبة، وكتاب البدء فى التاريخ للبلخى، وطبقات الشعراء لابن قتيبة أيضاً، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى، وديوان الحماسة لأبى تمام. ومن مراجع تاريخ اليمن بعد كتب الهمدانى قصيدة نشوان بن سعيد الحميرى وشرحها ومنتخباته فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم المطبوع فى ليدن من هولندة

ومن المصادر الغربية ما يقرب من ثلاثة وعشرين كتاباً كما ذكرها جرجى زيدان باللغة الانكليزية وهذه المؤلفات موجودة فى لندن وكمبرج واكسفورد ونيويورك وفى مكتبات باريس، وقريب من هذا العدد الكتب المؤلفة باللغة الافرنسية، ثم ما يزيد على خمسة وعشرين كتاباً باللغة الألمانية موجودة فى برلين وهامبرغ وغيرهما من المدن الشهيرة. هذه أهم المصادر لتاريخ العرب القديم عدا ما نشرته المجلات المهمة مثل مجلة المقتطف وغيرها كما سنبينه فى محله ان شاء الله

جغرافية اليمن

امتاز اليمن عن غيره من الأقطار العربية بجباله الشاهقة وشدة انحدار هذه الجبال وغنائها بالمواد المعدنية ومناعتها الحربية وصعوبة المواصلات فيها لوعورتها. وتتفرع هذه الجبال من جبال السراة المشهورة

وموقع اليمن يتاخم معظم جزيرة العرب فيحدّه من الشمال نجد والحجاز، ومن الشرق خليج البصرة، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب البحر العربى. ومما جاء حول هذا الصدد للهمدانى ما يأتى، قال: فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التى نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب وفى اشعارها وهى: تهامة، والحجاز، ونجد، والعَروض، واليمن. وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر، وما خلف ذلك الجبل فى غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله. وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه سراته وهو الحجاز وفى رواية الجر، والجر سفح الجبل

قال قيس بن الخطيم:

سل المرء عبد الله بالجرّ هل رأى … كتائبنا فى الحرب كيف مِصاعها

وصار ما احتجزه فى شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلى طيىء إلى المدينة راجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً. فالعرب تسميه نجداً وجلساً وحجازا والحجاز يجمع ذلك كله. وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله. وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشحر وعمان وما يليها اليمن وفيها التهائم والنجد واليمن يجمع ذلك كله.

قال أبو محمد :

وتأييد ذلك فى جميع اليمن لهذه المواضع كتب العهود من الخلائف لولاة صنعاء واليمن ومخاليفها وعك وعُمان وحضرموت . اه [١]

هذه حدود اليمن الطبيعية وفى هذا القطر ظهرت حضارة باهرة جداً كما ستعرفون ذلك . ويعد الهمدانى فى الصف الأول ممن تحرى الأبحاث ومطابقها للحقيقة ، ويشهد له بهذا جميع علماء الآثار . وقد شاهد أماكنها وضبط محلاتها أحسن ضبط فاستعان به من جاء من بعده من علماء الآثار وقدروا جهوده واعترفوا له بالسبق

جبال اليمن

تمتد جبال اليمن من الجنوب حتى تصل إلى مشارف الشام وتسمى جبال السراة ، وهى سلسلة جبال يكون عرضها من الغرب إلى الشرق نحو مسافة أربعة أيام أى ما يقارب ١٠٠ كيلو متر كما يؤخذ من كلام الهمدانى . وتتخلل هذه السلسلة الهضاب والوديان ، وهى آهلة بالسكان . وفى هذه السلسلة أعظم الجبال ارتفاعاً تفوق ارتفاع جبال جزيرة العرب ، ويبلغ ارتفاع أعلى جبل تقريباً ٣٧٠٠ متر عن سطح البحر

وقد قسم طه الهاشمى جبال اليمن فى مؤلفه جغرافية البلاد العربية إلى أقسام هى :

(أولا) السفوح الغربية وهى كثيرة التعاريج وغير منتظمة تشقها الوديان الضيقة التى تنبع من الجبال وتصب فى تهامة ، والوصف البارز فيها أنها شديدة الانحدار ، وفى مسير بضع ساعات ترتفع عن الأرض من ١٥٠ متراً إلى أكثر من ١٥٠٠ متر ، ومثال ذلك أن المسافة بين الحجيلة فى الطرف الشرقى لتهامة على طريق الحديدة ـ صنعا من مناخة زهاء ٣٠ كيلو متراً أى مسافة ست ساعات على ظهور الدواب . وفرق الارتفاع بين الحجيلة ومناخة يبلغ ١٨٠٠ متر . وهذا يدل دلالة واضحة على شدة انحدار السفوح فى جبال اليمن .

---

(١) عن صفة جزيره العرب ص ٤٧ - ٤٨ طبعة ليدن

ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ١٥٠٠ متر ، أما ارتفاع قممها فأ كثر من ذلك . ولما كانت أرضها ترابية وخصبة فهى صالحة للزراعة لـكثرة الأمطار التى تنزل فيها ولسهولة الاستفادة من مياه السهول التى تغمرها باقامة السدود

(ثانياً) المنطقة الجبلية ، ويعسر على الباحث وصفها لعدم انتظامها ، إذ يجد الباحث جبلا شاهقاً وبجانبه أو بالقرب منه تل منخفض ، وقد تحول بين هذه الجبال الوديان كما هو مشهور

(ثالثاً) الهضبة ، ترتفع هضبة اليمن إلى شرق المناطق الجبلية ، وهى سهل واسع ، وتحدها الجبال من الشرق والغرب ، وهى غنية وأرضها صالحة للزراعة كغيرها من مناطق اليمن . وعندما تسقط عليها الأمطار تحفظ بكميات كبيرة فى جوفها وتظهر بشكل عيون وأنهار صغيرة . وتحفر فيها الآبار فتسقى المزارع والجنات الواسعة . وفى هذه الهضبة أ كثر مدن اليمن المشهورة التى قامت فيها الحضارة اليمانية . وفيها صنعاء البالغ ارتفاعها عن سطح البحر ٢٣٥٠ متراً وفى ارتفاعها تقريباً عمران وغيرهما من المدن التاريخية . ومن الجبال المرتفعة فى هذه الهضبة جبل النبى شعيب البالغ ٣٧٦٠ متراً ، وتزيد ارتفاعات الجبال فى الجنوب على ٣٠٠٠ متر كنطاقة تعز . ويبلغ ارتفاع جبال اليمن الجنوبية الشرقية أقل من ألفى متر كمنطقة حضرموت وما يليها من مناطق اليمن الجنوبية الشرقية

الوديان

أشهر وديان اليمن وادى مور ، وهو أ كبرها ، وينبع من جبال الهضبة إلى جنوبى صعدة . وتنصب فيه عدة فروع من جبال عمران وجبال حجة . ويجرى من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ، ويمر بين جبال حجة وجبال حجور ، وينصب فى البحر الأحمر إلى شمال اللحيَّة . وتجرى الأقسام الشرقية من هذا الوادى فى أ كثر أيام السنة . أما وادى شرس الذى ينبع من جبال مسور ويمد جبال حجة من الشرق فيجرى طول السنة . وقد

بنى مولانا صاحب الجلالة الناصر للدين أيده الله جسراً حديدياً على وادى مور يسمى جسر الطور ، وهو فى غاية الابداع ، وقد مررت عليه بالسيارة ، وهو من الآثار الخالدة لجلالة الإمام أحمد الناصر للدين

وادى سُرْدُد : ويتألف هذا الوادى من عدة فروع تنبع من جبال كوكبان ، وقسم من جبال حضور وجبال حراز . ويجرى من الشرق إلى الغرب ، وينصب فى البحر الأحمر ماراً من شمال الحديدة ، والروافد التى تمر بالجبال تجرى فيها المياه فى أكثر الأوقات . وقد مررت بهذا الوادى فى رحلة طويلة لاكتشاف أسهل طريق للسيارات التى تمر بين صنعاء والحديدة

وادى سهام : ينبع هذا الوادى من جبال خولان وجبال آنس ، ويمر بجنوبى جبال حراز ، ويمر من المراوعة وينصب فى البحر الأحمر إلى جنوب الحديدة . وهو متصل بعدة وديان صغيرة تفيض بالسيول أثناء هطول الأمطار . وهذا الوادى أيضاً من الوديان التى مشيت فيها لنفس الغرض المذكور

وادى ريمة : ينبع هذا الوادى من جبال آنس ويجرى حتى يمر بجبل ريمة المشهور بخصبه ، فينصب فى البحر الأحمر إلى غرب بيت الفقيه

وادى زبيد : ينبع هذا الوادى من الجبال الواقعة غرب بلاد يريم ، ويتكون من عدة شعاب ويمر من شمال منطقة العدين وهى مشهورة بخصبها أيضاً ، وينصب فى البحر الأحمر إلى غرب زبيد . وهو أيضاً من الوديان المشهورة بخصبها ، وفروعه الجبلية تجرى طول السنة

وادى الخارد : وينبع من جبال نهم وأرحب ، وينصب فى أواسط الجوف وهو دائم الجريان . وقد سبرت غوره فى عدة أماكن . ويبلغ معدل عمقه حوالى ٨٠ سنتمتراً أى ذراع وثلث . وعرضه تقريباً متر وكسور أى حول ذراعين . وهناك وديان أخرى مثل وادى بنا ووادى تبان ووادى بيحان ووادى بيشة إلى غير ذلك

مناخ اليمن

تتوفر فى اليمن المناطق المعتدلة طول السنة فلا تصعد درجة الحرارة فيها إلى أكثر من ٣٠ درجة مئوية ولا تهبط إلى ما تحت ١٥ درجة مئوية . وهذه المناطق خصبة جداً تزرع البن والموز وغيرها . وهذه تشمل بلاد حراز والطويلة والمحويت والعدين . ومنطقة الهضبة تكون باردة فى الشتاء ، وقد تهبط درجة الحرارة فى الصباح الباكر إلى ٣ أو أكثر تحت الصفر ، غير أن البرد لا يدوم أكثر من ثلاث ساعات إلا ريثما إلى أن ترتفع الشمس فوق الأفق فتصعد درجة الحرارة قبل وبعد الظهر إلى ١٥ درجة أو ٢٠ درجة مئوية ، وتشمل صنعاء وذمار وبريم وعمران وصعدة

أما تهامة فهى حارة جداً فى الصيف ، وقد تبلغ درجة الحرارة فيها إلى ٤٤ أو ٤٦ درجة مئوية . أما فى الشتاء فلا تهبط إلى ما دون الخمس عشرة درجة مئوية . وتسقط الأمطار على اليمن من شهر شباط إلى آخر شهر آب ، وهى الأمطار الموسمية التى تسقط على جنوب الهند والصين واليابان ، ويندر أن تسقط الأمطار فى الشتاء . ونكتفى بهذا المقدار لننتقل إلى الكلام على حضارة اليمن

علماء الآثار الذين وصلوا الى اليمن

شاع فى الغرب ما يقوله العرب عن الآثار التى تركتها الحضارة اليمانية ، وعن الخطوط المرسومة على الأحجار ، وعن القصور العظيمة التى بلغت حد الإعجاب لضخامتها وزخرفها . وسمعوا أيضاً أن هذه الكتابات المنقوشة على الصخور قد عجز عن فهمها علماء التاريخ العربى وكذلك أحبار اليهود

وقد كان وصول هذه الأخبار إلى الغرب بواسطة الإفرنج أثناء سفرهم إلى الهند عن طريق مصر والبحر الأحمر ، فكانوا يسمعون من سكان شواطىء اليمن أخبار الآثار والأبنية المدفونة فى رمال تلك البقاع وكتاباتها التى أعجزت كل من أراد حل أسرارها

ويقول الأستاذ جرجى زيدان : إن أول من خطر له تحقيق ذلك والبحث فى تلك الآثار وقراءتها هو عالم ألمانى اسمه ميخايلس من أسرة عريقة فى العلم والفلسفة واللاهوت ، ولد فى سنة ١٧١٧ ميلادية وتوفى فى سنة ١٧٩١ ، وكان من أهل النظر وفيه ميل إلى نبذ التقليد ، وانتقل فى سنة ١٧٤٦ إلى غوتنجن وتعين أستاذاً للفلسفة فيها وظل هناك حتى مات . ولكنه كان كثير العلائق بسائر الممالك بما حازه من الشهرة العلمية ، وقد قربه الملوك والأمراء فمنحه ملك اسوج رتبة نائب مع لقب سر

وكان كثير البحث عن آثار التوراة ، فبلغ مسامعه ما يتناقله الناس عن بلاد اليمن ، فاقترح على فريدريك الخامس ملك الدنمارك فى سنة ١٧٥٦ تشكيل لجنة تذهب لارتياد تلك البقاع . فأجاب الملك اقتراحه وأمره بتشكيلها ، فشكلها من خمسة علماء برئاسة كارستن نيبوهر ، وجعل غرض تلك الرحلة تحقيق بعض المسائل المتعلقة بالتوراة من حيث الجغرافية وعادات الشرق والمحصولات الوارد ذكرها فى التوراة وبعض الأوبئة التى كانت وما زالت تفد على الشرق ونحو ذلك ، فتشكلت اللجنة من الأساتذة فون هافن العالم باللغات الشرقية ، وفورسكال العالم بالتاريخ الطبيعى ، والدكتور كرامر طبيب الوفد ، وبورنفايند الرسام الحفار ، وأخيراً نيبوهر الجغرافى . فأقلع الجماعة من كوبنهاجن فى أول سنة ١٧٦١ فمروا بأزمير فالاستانة وعرجوا على مصر ومروا بالبحر الأحمر إلى اليمن فوصلوها فى آخر سنة ١٧٦٢ . وفى أواسط السنة الثانية توفى فون هافن فى المخا ، وفورسكال فى يريم ، فشق ذلك على الباقين واعتقدوا فساد إقليم اليمن ، وخافوا على أنفسهم فظلوا فى طريقهم إلى بومباى ، فتوفى فى ذلك الطريق بورنفايند ثم كرامر سنة ١٧٦٤ فى بومباى ولم يبق إلا نيبوهر فلم يتمكن من الإيغال إلى اليمن

ولما رجع كتب فى رحلته كتاباً وصف فيه ما شاهده أو سمعه عن بلاد العرب ، وقد طبع هذا الكتاب غير مرة ونقل إلى معظم اللغات الأوروبية ، وهو أول كتاب يبحث

عن آثار العرب القدماء[١] . ومن جملة ما قاله « ان مدينة ظفار وحدافة [٢] فيهما نقوش لا يقدر اليهود ولا العرب على قراءتها » اهـ . فهذه أول بعثة خرجت لكشف آثار اليمن ، وقد ضحت برجالها جميعاً ما عدا نيبوهر . ولكن بالرغم من أن هذه البعثة لم تنتج لذهاب أربعة أشخاص من أعضائها ما بين لغوى ومؤرخ طبيعى وغير ذلك فقد تركت أثراً كبيراً

أيقظت هذه الرحلة رجال البحث والتنقيب فتحفزوا لمواصلة بحوثهم بالأسفار الطويلة الشاقة وبقيت آثار هذه البعثة تجول فى أفكار علماء التاريخ ذوى الهمة والنشاط . كذلك بقى ما نقله نيبوهر عن مدينتى ظفار وحدافة كما سماها منقوشاً فى ذهن المستشرق الألمانى (زتسن) . وكانت هناك محاولات كثيرة لحل الآثار المصرية المكتوبة بالهيروغليفية ، ولكن تفوق العالم الكبير شامبليون الفرنسى وذاع نجاحه فى الغرب فجدد عزائم الذين قد حاولوا ولم ينجحوا . وتمكنت الثقة فى نفوسهم إلى إمكان حل كتابات اليمن . وعلى ذلك سافر (زتسن) الألمانى إلى اليمن وحذا حذو زميله نيبوهر ، فوصل إلى ظفار وعثر فيها على ثلاثة نقوش أخذ اثنين معه واستنسخ الثالث . وكان يسرع كثيرا فى النسخ حتى تشوهت الأحرف ، ولهذا لم يأت بالفائدة المطلوبة . وكان رجوعه عن طريق المخا . وهناك عثر على خمسة نقوش نسخ اثنين منها لكنه نسخ غير مضبوط

وقد استغرقت البعثة الأولى نحو سنتين تمكنت فى خلالها من درس أمور كثيرة كالنبات والحيوان والمناخ إلى غير ذلك . وكانت ستخلد أعظم الأثر لولا ما أصيبت به من موت أعضائها كما أسلفنا

وقد وصلت هذه البعثة إلى صنعا فى أيام الإمام المهدى عباس ، وحظيت بزيارته ووصفت كيفية دخولها عليه ورسمت صورة لمجلسه[٣] . وكان الانكليز قد سمعوا عن

---

(١) لعل جرجى زيدان واهم ، فقد سبقه الهمدانى بعدة قرون

(٢) غير معروفة

(٣) تاريخ اليمن للاستاذ أحمد وصفى زكريا ، مجلة (التمدن الإسلامى) السنة الرابعة

الحضارة اليمانية وعن النقوش التى عثر عليها الألمانيون . فكان الضباط الانكليز يبحثون عن الآثار فى شواطىء اليمن فى أثناء مرورهم إلى الهند . وقد عثر ضابط انكليزى اسمه ولستد[١] فى سنة ١٨٣٨ ميلادية على نقوش فى صخرة من قلعة حصن غراب ، فاهتم العلماء بقراءتها ولم يحصلوا منها على طائل إلا بعد وقت كبير . وكذا وجد الضابط الانكليزى كروتند فى صنعاء عدة نقوش يظهر أنها جاءت من مأرب

وعقب هذا آرنو الفرنسى ، وهو أول من وصل إلى مأرب مجازفاً بحياته ، وعاين سد مأرب ونسخ ما وجده من النقوش كما نسخ أيضاً عدة نقوش فى صنعاء ، وكتب نتائج رحلته بإيضاح كامل ، وعاد إلى بلاده ومعه ٥٦ نقشاً عن آثار صنعاء والخريبة ومأرب وحرم بلقيس

وكان آرنو هذا صيدلياً للامام فى صنعاء وله معرفة بالمسيو فرسنل قنصل جدة ، فأشار عليه بأن يذهب لاكتشاف آثار مأرب التى يتحدث الناس عن أخبارها ، فنفذ آرنو هذا الاقتراح وسافر إلى مأرب مع جماعة وقد أخفى مقصده عنهم . ومع أنهم قد بالغوا فى مراقبته حتى أنه لم يتمكن من نقل النقوش علناً ، لكنه كان يفعل ذلك سراً بحيل خاصة كأن يتظاهر بالمرض فيمتنع عن الخروج ، وهكذا نجح فى غرضه ورجع وقد أصابه الرمد بشدة حتى ذهب بصره عقيب ذلك . ولما وجد نفسه قد عمى أرسل كل ما استحصله من النقوش إلى صاحبه قنصل جدة المذكور

ثم نشرت أخبار هذه الرحلة فى المجلة الآسيوية وفى أحد أجزاء هذه المجلة خريطة لسد مأرب . والذى كان له الفضل فى حل نقوش آرنو المستشرق أوسياندر ، وبما أن هذه الآثار تدل على تقدم الحضارة اليانية فى شتى النواحى والفن المعمارى خاصة ، فقد اهتم علماء الآثار باليمن ووجهوا عنايتهم لدراسة ماضى اليمن حتى سمحت حكومة باريس بتشكيل لجنة

---

(١) قيل انه ألمانى

للبحث عن الآثار السامية ، وبذل وزير المعارف الإفرنسية عناية كبيرة فى تمهيد السبيل لهذا الغرض

وأرسل المستشرق هلفى إلى اليمن فى سنة ١٨٦٩ فمر من الطريق التى مر منها آرنو . ووصف جرجى زيدان رحلة هلفى فقال : سار هلفى إلى اليمن حتى بلغ مأرب . ورجع ومعه ٦٨٠ نقشاً أكثرها لسوء الحظ منقول بأحرف عبرانية فقلل ذلك من أهميتها ، وإنما اضطر هلفى لنقلها بهذه السرعة على هذه الصورة خوفاً من مفاجآت العرب له وهو ينقل أو يرسم . وكان إذا شاهـــد نقشاً تظاهر بالرقاد أو احتال باظهار الصلاة ، وينقل ما ينقله خلسة . واكتشف هلفى فى هذه الرحلة بلاد الجوف التى مر بها اليوس غالوس الفاتح الرومانى . اه ولم تصل الحملة إلى اليمن ، كما قال استرابون ان هذه الحملة فشلت . وبالغ جرجى زيدان فى اكتشاف هلفى . فيقول عنه إنه عثر على أشياء لم تعرفها العرب ، وأنه ارتحل إلى الجوف ثم إلى نجران واكتشف معين عاصمة دولة المعينيين التى ذكرها اليونان بين دول اليمن والعرب لا يعرفونها ، وقرأ نقوشاً من التى اكتشفها وفيها أسماء كثير من ملوك اليمن وآلهتهم وبلادهم وقبائلهم لم يكن معروفاً من قبل

وهذا الزعم باطل فقد جاء ذكر معين والجوف فى أشعار العرب وأمثالهم ، قال نشوان بن سعيد الحميرى فى كتابه شمس العلوم :

جوف : فَعْل بفتح الفاء وسكون العين ، جوف الإنسان وغيره معروف ، والجوف المطمئن من الأرض ، والجوف اليمامة ، والجوف واحة باليمن سكنه همدان وهو الذى يقال له أخلى من جوف حمار ، نسب إلى حمار بن نصر بن الأزد . اه

أما معين التى قال إنهم لم يعرفوها فقد قال عنها نشوان الحميرى ما نصه :

ومعين موضع بالجوف من أرض اليمن فيه بناء عجيب بنته ملوك حمير

قال علقمة بن ذى جدن :

ومعين فرفت بين ساكن أهلها أرض الأعنة والجياد الضمر

وقال فى موضع آخر :

ونحمى الجوف ما دامت معين　　بأسفله مقـــابلة عرادا[١]

وعلى ذلك لم يكن صحيحاً ما ذهب اليه جرجى زيدان من أن هلفى هو الذى اكتشف معين ولم تعرفها العرب . ونرجح أن السبب الذى دعا مؤرخى العرب إلى إهمال اسم معين هو أنهم لا يعرفون أن هناك فرقاً بين هذه الدولة وبين الدولة الحميرية وأنها أمة واحدة تختلف فى مقر العاصمة أو مكان الدولة مثل دولة سبأ ودولة ظفار الخ

أما ما يقوله الغربيون عن المعينين وأنهم أمة غريبة عن الأمة الحميرية وأنها جاءت من خارج اليمن فهو خطأ ظاهر ، وسنبينه فى محله إن شاء الله

هذا وبعد هلفى الفرنسى قد استأنف الألمانيون مواصلة البحث عن آثار اليمن ونذكر منهم العالم المشهور (قلازر) طاف على اليمن وأماكنها التاريخية ووصل إلى مأرب ووجد فيها ألفى نقش بعضها مهم جداً لاحتوائه على مصادر تاريخية فى غاية الأهمية ، كذكر سد مأرب وبنائه ومن جدده إلى غير ذلك . وقد ألف قلازر كتاباً فى جغرافية بلاد العرب القديمة ونشر منها الجزء الثانى ويندر الحصول عليه لقلته ، ولا نعرف الأسباب التى أخرت قلازر عن إكمال بحثه ولربما أنها عاجلته المنية قبل أن يفرغ من مؤلفه

وحاول غير من ذكرناهم الوصول إلى مأرب ولـكن الأجل لم يمهلهم ، مثل هوبر الفرنسى ولانجر النمساوى . ولم يقف علماء الانـكليز مكتوفى الأيدى بل ساهموا فى هذا العمل كغيرهم ، منهم تيودور الذى تولى الـكشف فى القسم الجنوبى من اليمن ووجد آثاراً دالة على سلسلة الحضارة فى جميع بقاع اليمن . ولـكن كثيراً من آثار اليمن نقل إلى متاحف أوروبا ومكتباتها حيث يوجد ما يقارب الألفين من النقوش ، وهذه النقوش منها ما هو على الأحجار ومنها ما هو على البرنز بشكل ألواح أو أحجار ضخمة يتعذر أخذها فتؤخذ

---

(١) مادة الجيم من كتاب منتخبات شمس العلوم لنشوان الحميرى

رسومها . وكم فى متاحف أوروبا ومكتباتها من هذه الرسوم خصوصاً فى ألمانيا وانكلترا وفرنسا . واشهر الذين اشتغلوا فى حلها : أوسيار، وهلفى، ومولر، وقلازر، وديرينور، وهومل . وهذا الأخير ألف كتاباً باللغة الألمانية فى قواعد اللغة المعينية والسبإية[١] وحروفها وقراءتها . وهذا جزيل الفائدة . وقد وضع هؤلاء وغيرهم ممن لم يصل إلى اليمن أمثال رود كنا كيس الألمانى وريكانس الفرنسى عشرات الكتب فى مختلف اللغات ، وهى تبحث عن مختلف أحوال اليمن كالجغرافية والطبيعة والاقتصاد والاجتماع منذ عصور بعيدة قبل الاسلام، وجل هذه المعلومات كانت مستقاة من النقوش

وأنشط الجميع فى هذا الميدان هم الألمان . كما أن دور الأتراك الأخير لم يخل من بضعة قواد وأطباء قاموا جهد إمكانهم بالبحث العلمى فوضع الأولون كتباً عن تاريخ اليمن الحديث ووقائعه الحربية التى أصلتهم ناراً حامية . ووضع الآخرون كتباً عن نباتاته[٢] وحيواناته وشئونه الاجتماعية والصحية

وفى سنة ١٣٥٢ ﻫ وصل راتخبس وويزمان الألمانيان من أساتذة هامبرغ . وتجولا ما بين الحديدة وصنعاء ووضعا مرصداً فى صنعاء وألفا عما درساه خلال سنتين ثلاثة كتب تبحث عن شئون اليمن الطبيعية والجغرافية والأثرية وهى حافلة بالخرائط والرسوم المتقنة .

وفى سنة ١٣٥٤ ﻫ وصل ألمانى آخر اسمه هلفريس ووصل إلى اليمن عن طريق حضرموت متخفياً وتخلص من القتل مرتين فى شبوة وبيحان واجتاز أطراف الأحقاف . ونشر رحلته باللغة الألمانية . ووصل إلى مأرب نزيه العظم الدمشقى وألف كتاباً دعاه (رحلة فى بلاد العرب السعيدة) وليس بشىء . ولم تقصر مصر فى البحث عن اليمن

---

(١) كلها من أصل واحد وهى الحميرية كما سيأتى

(٢) والكتاب المؤلف عن نباتات اليمن وإن كان باللغة التركية إلا أن مؤلفه عربى وهو الأمير ألاى الدكتور ابراهيم عبد السلام الكواكبى ، وكتابه فى ١٦٠ صفحة وهو مطبوع بمطبعة هلال بالقسطنطينية سنة ١٣٢٤

فأوفدت بعثة قامت بمختلف الأبحاث ودامت حول ستة أشهر ولكن لم تصل إلى مأرب ورجعت إلى مصر ونشرت أبحاثاً قيمة عن آثار اليمن . وفى سنة ١٣٦٣ هـ وصل إلى الجوف الأستاذ محمد توفيق وقد رافقته فى هذه الرحلة وأخذ صوراً لجميع المدن الأثرية فى الجوف غير أنها ذهبت بسبب حادث غير منتظر وهو طغيان السيل على سيارته قرب زبيد ، وسنأتى على تفصيل هذه الرحلة فى الكلام على آثار الجوف . وكان لنساء الغرب نصيب فى البحث عن آثار اليمن ، فقد وصلت بعثة انكليزية نسائية بقيادة السائحة فرياستارك وطافت القسم الجنوبى الشرقى وأخرجت كتاباً ضخما عما شاهدته وقفلت راجعة إلى بلادها وهى فى غاية الشوق إلى مزيد الإيضاح عن حضارة اليمن ، فرجعت مرة أخرى ومعها عدة من النساء منتدبات من قبل جمعية آسيا الوسطى الملكية . هذه نبذة من أعمال الرواد الذين كابدوا أعظم المشاق فى البحث والتنقيب . ومما يجب الالتفات اليه ان كل هذه الأعمال لم تكن من أنواع الحفريات المنظمة كالتى كشفت عن تاريخ مصر والعراق

إن حضارة اليمن ما تزال مدفونة تحت الأعماق إلا ما كان من الكشف الذى قام به مولانا صاحب الجلالة الناصر للدين أيده الله والذى سنأتى عليه عند الكلام على الآثار لأنها أول مكتشفات تستحق التقدير . أما الذى اطلع عليه ونشره الأوربيون من النقوش فكان بالصدفة لا غير

مهد الساميين أو الوطن الاول

طالما اشتغل علماء التاريخ والآثار بهذا البحث . وكان الغموض والإبهام مخيمين لأن الاختلاف كان على أشده بين العلماء ، وكان ماضى الحضارة فى الأقطار الشهيرة مجهولا خصوصاً مصر والعراق . وعندما توفق علماء الآثار لحل الخطوط القديمة كالهيروغليفى المصرى والخط المسمارى فى العراق والنبطى فى الشام والخط المسند فى اليمن[1] وزال

---

(١) كان هذا الخط معروفاً فى اليمن إلى ما بعد ظهور الاسلام بقليل ، وكان يستعمل إلا أنه أهمل وتنوسى مئات السنين حتى ظن الغربيون أنهم مكتشفوه

الالتباس عن هذه الأمم وحضارتها وأجناسها . فمتاحف مصر والعراق قد كشفت آثارها الاثام عن سكان تلك الأقطار حيث بعث تاريخها من أعماق التراب ورتبت الآثار بحسب تسلسل الدول والملوك بحيث يظن الزائر أنه يعيش بين ظهرانى تلك الأمم الغابرة . وبعض هذه الآثار يرجع إلى أكثر من أربعة أو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ، فترى جثث ملوك مصر المحنطة كأنها فارقت الحياة منذ أيام قليلة . كما ترى تماثيل ملوك العراق من السومريين والبابليين والآشوريين والأكديين الخ . وتشاهد أيضاً ملبوساتهم ومصنوعاتهم فيدهشك ذلك التاريخ الناطق الصامت . والفضل يعود إلى أعمال البعثات الأثرية المنظمة . ولا تزال حتى الآن تواصل البحث والتنقيب . ولا بد أن يكون للحضارة اليمانية القدح المعلى متى أذن الله ببعثها من مرقدها كما وقع فى مصر والعراق . أما ما اكتشف فى اليمن حتى الآن من النقوش فهى نتف لا تسد رمق التاريخ . ولا غرابة أن يكون اليمن مهد الأمم السامية ومنبع حضارة مصر والعراق كما سنبين ذلك بالأدلة الواضحة

مهد الأمم السامية والذين منهم العرب أو هم كعبة الأمم السابقة وأصلها . يصعب علينا إثبات مبدأ اللسان العربى وهل تدرج فى سلم الرقى ؟ وهل كانت اللغة التى نتكلم بها اليوم هى لغة الأقوام السامية من العرب ؟ أم تغيرت وتهذبت حتى وصلت إلى لغة القرآن والحديث ، كل ذلك مفتقر إلى زيادة البحث والتتبع ، وهذا هو ما يعتقده الكثير . فمن هم العرب ، وأين مهد الساميين ؟

لقد اصطلح المؤرخون فى هـــذا العصر على أن يسموا الشعوب التى تتفاهم بالعربية والعبرانية والسريانية والحبشية ، والتى كانت تتفاهم بالفينيقية والأشورية والآرامية شعوباً سامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام ، لأن هذه الأمم من نسله كما جاء فى التوراة . وسموا لغاتهم اللغات السامية لأنها تتشابه كما تتشابه فروع اللغة اللاتينية أو فروع السنسكريتية ، فيقال مثلا إن اللغتين الإيطالية والإسبانية أختان أمهما اللاتينية ، وإن الفارسية والهندية اختان أمهما اللغة السنسكريتية ، كما يقال إن لهجات العامة فى الشام ومصر والمغرب والحجاز

أخوات أمهن اللغة العربية الفصحى . فهذه الأمهات لا تزال موجودة يمكن رد فروعها إلى أصلها . أما اللغات السامية البائدة والباقية فلا وجود لأصلها الآن ، وقد يزعم علماء اللغات أنها العبرانية ويرى آخرون أنها العربية وغيرهم أنها البابلية ، والعلم الحديث مفتقر إلى زيادة البحث[1]

(مهد الساميين) : اختلف العلماء فى أصل سكنى الساميين الأول . ولهم فى ذلك أدلة كثيرة بعضها وجيه والبعض الآخر ليس كذلك . فنهم من قال إن وطن الساميين الأول كان فيما بين النهرين وهو رأى أهل التوراة . ومنه تفرقوا فى الأرض أمماً . ففى الشام الآراميون والفينيقيون على شواطىء البحر الأبيض المتوسط . وفى فلسطين العبرانيون . وفى جزيرة العرب العرب وفى العراق الاشوريون والبابليون

وعمدة هذه الأقوال التوراة والثقة فيها قليلة . وذهب آخرون إلى أن مهد الساميين كان فى إفريقيا ورجحوا أنه الحبشة ، وحجتهم أنهم وجدوا مشابهة بين اللغات السامية والحامية وأن الحبشة سامية لقربها من بلاد العرب إقليما ولغة

وذهبت فرقة أخرى وفى مقدمتها سبرنجر . وشديدر . ونكر الالمانيون . وروبرتسن سميث الانكليزى أن مهد الساميين جزيرة العرب ومنها تفرقوا فى الأرض كما تفرقوا فى صدر الإسلام . ولهؤلاء أدلة اجتماعية ولغوية وأخرى أخلاقية . ولا شك أن هذه الفرقة أقرب إلى الصواب

وقد ذهبت طائفة إلى أن مهد الساميين كان فى جنوبى الفرات وزعيم هذه الطائفة اغناز يو جو يدى المستشرق الإيطالى

وقد استند فى أقواله إلى أسباب جغرافية وطبيعية تتعلق بأسماء الحيوان والنبات واشتراك هذه الأسماء فى اللغات السامية

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ص ٣٢ وما بعدها . يراد بهذه العبارة قبل أن يدون الإنسان تاريخه بنوع من الخطوط وتقسم إلى عصور حجرية وحديدية الخ

وقال آخرون إن مهد الساميين كان فى الحبشة وأنهم عبروا عن طريق مضيق باب المندب إلى اليمن فى عصور ما قبل التاريخ وتكاثروا فى اليمن وانتقلوا منه إلى الحجاز ونجد والبحرين . ثم نزحت طائفة منهم إلى فلسطين وطائفة إلى العراق ، وسكان العراق يومئذ السومريون[1] وطائفة إلى فينيقية ، فغلب الساميون على تلك البلاد وأنشأوا دول بابل وأشور وفينيقية وفلسطين ، وهذه الطائفة كما قدمنا أقرب إلى الحقيقة ، لولا أنه بعيد جداً أن يكون المهد الأول الحبشة ، بل يكون فى اليمن رأساً لأن نوحاً وأولاده كانوا فى آسيا وكانوا فى جزيرة العرب واليمن معظم الجزيرة . وقد خرجت منه أعظم الموجات السامية فى عصور متتالية والتاريخ يعيد نفسه ، فدول المناذرة فى العراق والغسانية فى الشام والأوس والخزرج فى الحجاز آخر الموجات التى خرجت من اليمن . ولزيادة الإيضاح نعرض أبحاث العلامة الأستاذ جبر ضومط عن مهد الساميين قال :

قبل إقامة الدليل التاريخى على ما ذكرنا فى شأن لغة سبأ ، أى أنها لغة أو لهجة من اللهجات العربية ، وبعبارة أخرى أن سكان بلاد سبأ كانوا يتكلمون العربية المضرية من سيل العرم إلى الآن . وقبل أن أذكر التاريخ فى إثبات أن فرعى الأمم السامية هما القحطانية والعادية . ومنهما تفرعت بقية اللغات السامية الأخرى ، لا بد لى من الرجوع إلى الكلام عن موطن اللغة السامية الأصلى الذى ربيت فيه ، فأقول :

وجدنا اللغات السامية فى البلدان الآتية :

(١) فى شمال إفريقية على شواطىء المتوسط من الشام شرقاً حتى تصل إلى بغاز جبل طارق والأطلانتيكى غرباً ، ويشمل ذلك على برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد مراكش

(٢) فى مصر وما يليها جنوباً من بلاد الأثيوبيين أو ممالك الحبشة

(٣) فى جزيرة العرب وما والاها من فلسطين وسوريا حتى آسيا الصغرى

---

(١) قيل إنهم من المغول

(٤) فى بادية الشام والعراق من رأس الخليج الفارسى جنوباً حتى تصل إلى الموصل وديار بكر شمالا . وليس فى التاريخ ولا فى الآثار ولا فى التقاليد المتناقلة ما يشير أدنى إشارة إلى أنها كانت فى غير هذه البلدان

هذه هى البلدان التى عاشت فيها الأمم السامية التى تكلمت اللغات السامية لم يعرف عنها قط أنها كانت فى غيرها من البلدان ، اللهم إلا حيث كانت المستعمرات الفينيقية لكنها لم تثبت هناك بل انقرضت حالا عند انقراض المستعمرين وتغلب من حواليهم من الأمم عليهم ، ولا شك أن مهد السامية لم يتجاوز البلدان التى ذكرناها ، ولا بد أن يكون فى إحداها ، ولهذا أجمع أرباب البحث من علماء اللغات والتاريخ قديماً وحديثاً على ما أعلم وهو ظاهر قول العلامة نولدكى أيضاً

قلنا فيما مر : إن هناك آراء ثلاثة فى موطن السامية :

الأول : أنه إفريقية

والثانى : أنه جزيرة العرب

والثالث : أنه العراق أو أقليم بابل وما يليه من بلاد الأشوريين . فلننظر فى هذه الآثار واحداً واحداً ، ولا شك فى أن الرأى الذى تتوفر فيه الأدله التاريخية والعقلية هو أولى من صاحبه بالقبول

دعونا ننظر إلى بلاد شمال إفريقية ونسأل تقاليد أهلها عن أهلها من أين جاءوا . إن البربر وأعنى بهم سكان شمال إفريقية من الذين يتكلمون باللغة السامية ويرفضون بتاتاً أن يكون أصلهم من زنوج إفريقية ، ويصلون أنسابهم بأنساب العرب من أهل اليمن والشام

والقول المعتبر فى ذلك إنما هو قول العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور ، فراجع ما نقله فى أنساب البربر (المجلد السادس طبعة بولاق صفحة ٨٩ إلى ٩٨) . ان

الواقف على ما يذكره هذا العلامة فى أنساب القوم لا يشك أنهم جاءوا إلى تلك البلاد الواسعة من الشام والبلاد العربية ، ولا أقول إن البربر عمروا بلادهم ابتداء ولم يكن فيها قبلهم أحد من الأمم ، ولكن أقول إن هؤلاء الذين جاءوا البلاد ولغتهم من الدوحة السامية جاءوا من الشام وجزيرة العرب فتغلبوا مع الأيام على أهل البلاد وصارت اليهم الدولة والسلطنة واختلطوا مع من غلبوهم بالزواج فصاروا من ثم جميعهم (الغالبون والمغلوبون) ينتسبون إلى الأمم التى كان منها الغالبون

لا أستطيع أن أنقل كل ما ذكره العلامة ابن خلدون فى أنساب البربر ، ولكنى أنقل ما جاء فى الجزء الثانى من تاريخه ص ٥١ طبعة بولاق قال : ـ

قال ابن حزم هو افريقس بن قيس بن صيفى أخو الحارث الرائش وهو الذى ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية وبه سميت وساق اليها البربر من أرض كنعان التى مر بها عند ما غلبها يوشع وقتلهم . فاحتمل الغل منهم فساقهم إلى إفريقية فأنزلهم بها

ولما رجع من غزو المغرب ترك هناك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة ، فهم الآن بها وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والسهيلى وجميع النسابين . انتهى النقل . ويظهر من هذا الذى نقلناه ومن كثير أمثاله أن التبابعة أجلوا غير مرة العرب وأهل كنعان إلى بلاد المغرب وأقاموا مهاجر فيها بقبائلهم من سبأ وحمير . ولا أحتاج إلى ذكر جاليات الصيدونيين والصوريين فى تلك البلاد . فان الجالية منهم التى استعمرت قرطاجنة ومن ثم صار لها الغلب على كامل شمالى إفريقية سنين طويلة هى أشهر من أن تذكر

وكادت دولتهم هناك أن يكون لها الغلب على أشهر الممالك المعروفة حينئذ لو لم تسبقها رومية العظمى إلى ذلك ، وبناء على هذا جميعه أعيد ماقلته من أن التقاليد والتواريخ كلها تشير إلى جهة واحدة هى أن الأمم السامية هم دخلاء على شمالى إفريقية وقد جاءوا إلى هنالك من الشام وجزيرة العرب ، فليس شمالى إفريقية إذن موطن السامية ولا يعقل أن يكون هناك أيضاً

فرغنا من الـكلام على شمالى إفريقية . بقى علينا مصر والحبشة . أما مصر فلم أسمع عمن ذهب إلى أنها موطن السامية الأصلى ، وهذ يغنينى عن الإطالة وإقامة الدليل على أمر لا ينازع فيه . ومع ذلك أقول إن الأثرى والمؤرخ الشهير (ولسن) يرجح أن التمدن المصرى القديم ليس أصليا فيها أى أنه جاءها عن العراق وبلاد العرب . ومن المشهور فى الآثار والتواريخ العربية أن دولة الرعاة فى مصر ـ وكانت سامية ـ جاءتها من البلاد العربية . ومثل ذلك أقول فى الأمهريين إن لم يكن قد قيل ذلك فيهم من قبل . . والفرق بينهم وبين الحبشة أن الحبشة نزحوا جماعة كبيرة ، وأما أولئك فـكانوا قلائل فى العدد ، وباختلاطهم مع الزنوج غلبت عليهم وعلى لغتهم ملامح هؤلاء وألفاظ لغتهم وكثير من عباراتها وتراكيبها ، لـكن لم تقو لغتهم الزنجية على إزالة الأصل السامى ، فبقى من آثاره ما يدل عليه بعد التنقيب وإمعان الروية . وأرى أن العقل لا يستطيع الحـكم بأن هؤلاء الساميين بقوا فى إفريقية وكانوا ما كانوا ثم خرجوا عن بكرة أبيهم من موطنهم الأصلى فى بلاد الزنوج ولم يتركوا أثراً هنالك يدل عليهم أصلا

ومثل هذا الرأى لا يقبل إلا مع البرهان الراجح إن لم نقل البرهان القاطع للشك والنافى للاحتمال

بقى علينا بلاد العراق من الخليج الفارسى إلى الموصل وديار بكر . والباحثون على اتفاق بينهم أن الاشوريين جاءوا من بابل ولغة الاشوريين ولغة قدماء البابليين واحدة . والآثار البابلية تقول إن أصحاب آثارها من الذين تـكلموا بهذا اللسان السامى لم يكونوا أصليين فى البلاد . وانما كان قبلهم قوم على جانب عظيم من التمدن وكان لهم لغة لـكن على غير الأرومة السامية ، فلما تغلب عليهم هؤلاء الساميون أخذوا عنهم الـكثير من آدابهم وترجموا لغتهم ومكتوباتهم إلى لغتهم السامية

والمأخوذ من هذا عقلا والواجب اعتماده أيضاً أن الساميين أو السامية جاءت إلى العراق وبابل من مكان أخر ، وكان أهلها غزاة فاتحين ، الأقرب إلى العقل أن يكونوا

نزحوا إلى هناك من الجزيرة العربية ، فان المشاهد والمعروف فى كل العصور التاريخية إلى الآن أن هؤلاء ـ أعنى أهل الجزيرة العربية ـ كانوا يهاجرون من سائر أنحائها إلى الشام والعراق ويستوطنون هناك تجاراً أو زراعيين يحرثون الأرض ويربون المواشى ، وإذا وجدوا فرصة للتغلب والتسلط على مجاوريهم انتهزوها . انتهى كلام الأستاذ جبر ضومط حول المهد الأول والوطن الأصلى للساميين

وقد ترجح بعد هذه الأدلة المعقولة والمقبولة فى مطابقة الواقع أن الجزيرة العربية مهد الساميين . ويؤيد ذلك بعض الأقاصيص المتداولة فى اليمن فيقولون إن سام بن نوح هو الذى بنى صنعاء ولا يزال يطلق عليها حتى الآن اسم مدينة سام . وقال أحد علماء الألمان إن اليمن معمل البشرية السامية (١)

اليمن منبع الحضارة الغابرة

بعد أن قدمنا بأن اليمن مهد الأقوام السامية فهو لا شك مرجع حضارة مصر والعراق . قال الأستاذ (سايس) البحاثة الأثرى الشهير : « إن اليمن سابقة فى تمدنها على مصر وبابل ، وإنها هى البلاد التى هاجر منها إلى مصر أسلاف الفراعنة العظام وحملوا معهم إليها العلم والحكمة والزراعة والصناعة ، ومنها كان فى الراجح أسلاف البابليين والاشوريين الذين حملوا فى مهاجرتهم إلى تلك البلاد ما حملوه إلى مصر من العلم والصناعة ، كما أن منها أو مما جاورها من بلدان الجزيرة كان معظم الجاليات التى استعمرت شواطىء البحر المتوسط فى سوريا وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وإيطاليا وفرنسا وشطوط إفريقية مما يقابل جبل طارق حتى تصل إلى مصر والسويس (٢) . وقال الكاتب رزوق عيسى مالفظه : تشير روايات قديمة ، وتنبىء أسانيد أثرية عن بلاد العرب الجنوبية أو عن البلاد المتصلة

---

(١) المقتطف المجلد ٦٨ ص ٢٦٤

(٢) المقتطف المجلد ٣٨ ص ٣٢٦

بساحل إفريقية من جهة الشمال الشرقى بأنها كانت مصدر الحضارات الأولى . فقد جاء فى أساطير البابليين أن الإله (أدنيس) إله الكلدان القدماء أول من علمهم العلوم ولقنهم الفنون ، وشهد قدماء الفينيقيين وقالوا إن منشأهم كان من جزر البحرين الواقعة فى الخليج المشار اليه

هذا والمصريون كانوا ينظرون إلى النبط بكل احترام ويجلون قدرهم ويرفعون منزلتهم فوق الأمم الأخرى

ومن المؤكد الثابت أن موقع هذه الديانات كان يمثل بلاد العرب السعيدة وأرض الصومال ، وقد ذهب أهل مصر فى ذلك العهد إلى أن مصدر ثقافتهم وينبوع آدابهم ومعارفهم ومدنيتهم لم يكن فى مصر العليا أو السفلى ، بل فى مصر الوسطى فى أبيدوس حيث حكم توت وأوزيريس ، وهناك مضيق يفصل النيل عن البحر الأحمر

وهذه الشقة الضيقة من الأرض كانت من أهم وأعظم طرق المواصلات التجارية بين البلاد العربية ومصر اه[1]

وجاء فى مجلة الرابطة العربية بعنوان (فى مملكة سبأ) : وقد وجد الكاتب كلمة (أبس) بالخط المسند فى أحد التماثيل المرسومين فى المجلة المذكورة ، قال : ليت شعرى هل (أبس) هو العجل (أبيس) معبود المصريين القدماء ؟ وبالأحرى هل كان أبيس يعبد ويحج اليه أولا فى اليمن ثم أخذته معها القبائل التى انحدرت من بلاد اليمن واستقرت فى هذا الوادى (يقصد وادى النيل) وعبدته ؟

نترك هذا للمستقبل عند ما نضرب أول معول فى أرض اليمن لنبش آثاره . اه

ومما يؤيد ما ذهب اليه الكاتب المذكور أن حروف العلة وهى الواو والياء والألف تحذف فى الكتابة الحميرية كما سيأتى ، فيكون (أبس) الموجود فى التمثال هو العجل أبيس معبود المصريين القدماء

---

(١) مجلة الرسالة السنة الثانية العدد ٧٥ ص ١٢ و ٢٠

وقد سبق ما قاله البحاثة الأثرى (سايس) من أن أسلاف الفراعنة القدماء قد هاجروا من اليمن إلى مصر وحملوا معهم العلم والحكمة . لهذا لا نستبعد أن يحملوا معبودهم أبيس أيضاً . ولا تزال لدينا فى كافة اليمن حكايات حول مسير فرعون إلى مصر وان كان فى هذه الروايات كثير من الخرافات كما هو الشأن فى الأقاصيص ، غير أنها لا تخلو عن حقيقة

وإذا ذكر فرعون موسى سمعت حكايات كثيرة عن كيفية خروجه من اليمن ودخوله مصر وكيف أخذ ملك مصر ، وأيضاً لا يزال فى اليمن بعض الأماكن القريبة من صنعاء تسمى باسم فرعون

فوادى السر يقال له (وادى فرعون) فى قصص طويلة لا تخلو عن فائدة . فاليمن كما أسلفنا سابقة فى حضارتها

وجاء فى جغرافية البلاد العربية لطه الهاشمى ما لفظه « لم يقم علماء الآثار بالحفر فى أنحاء جزيرة العرب للاطلاع على ما أندثر من آثار الحضارات القديمة والتوصل إلى معرفة الأسباب التى دعت الساميين إلى التكاثر فى جزيرة العرب ، ثم اندفاعهم فى موجات متعاقبة إلى أطرافها

فضلا عن الاطلاع على أقدم حضارة عربية نشأت فى اليمن اه

ومما يلفت النظر إلى علاقة الحضارة المصرية بالحضارة اليمانية أسماء ملوك الرعاة أو الهكسوس أو الشاسو كما سماهم اليونان ، ومشابهة هذه الأسماء لأسماء قبائل اليمن إلى يومنا هذا

هل الشاسو عرب

نقلنا هذا العنوان والبحث عن تاريخ العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان قال :

أول من نبه الأذهان إلى أن الشاسو عرب يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلى المتوفى فى

أواخر القرن الأول للميلاد عن منثون المؤرخ الأسكندرى المتوفى فى أواسط القرن الثالث قبل الميلاد وبعض كلامه عن نشوء دولة الشاسو قال :

واتفق على عهد تيماوس أحد ملوكنا أن الإله غضب علينا ، فأذن لقوم لا يعرف أصلهم جاءوا من الشرق وتجاسروا على محاربتنا وغلبونا على بلادنا وأذلوا ملوكنا وحرقوا مدننا وهدموا هياكلنا وآلهتنا وساموا الناس ذلا وخسفاً ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأولاد . ثم نصبوا عليهم ملكا منهم اسمه سلاطيس أقام فى منفيس وضرب الجزية على مصر أعلاها وأسفلها وأقام الحامية فى المعاقل لدفع الاشوريين عن وادى النيل إذا طمعوا به ، وبنى مدينة أوارس فى ولاية صان لهذه الغاية وحصنها بالأبراج والقلاع والأسوار وأكثر من حاميتها حتى بلغ عددهم (٢٤٠٠٠٠) . وكان سلاطيس يأتيها فى الصيف لجمع الحنطة ودفع رواتب الجند وتمريسهم على الحرب . وبعد ١٣ سنة من حكمه خلفه ملك اسمه بيون وحكم ٢٤ سنة . وجاء بعده باخناس حكم ٣٦ وسبعة أشهر ثم أبو قيس ٦١ سنة وبانياس ٥٠ سنة وشهراً

وأخيراً حكم أسيس ٤٩ سنة وشهرين . وهؤلاء الستة أول من حكم من ملوكهم ، ولم يكفوا عن محاربة المصريين لأنهم كانوا يلتمسون إبادتهم . وكانت هذه الأمة تسمى هكسوس اه

وهؤلاء عمالقة مصر ، والذى يهمنا هنا أسماء الثلاثة الملوك مثل باخناس ، وأبو قيس ، وبانياس . فهذه أسماء يمانية موجودة إلى اليوم خصوصاً فى القسم الجنوبى وهو مخلاف حضرموت . وقد بنى سلاطيس الحصون والقلاع ودرب الجيوش الشبيهة بأعمال اليمانيين أينما حلوا

عمالقة العراق

أول من ذكر سيادة العرب على العراق كاهن كلدانى اسمه بروسوس من أهل القرن الرابع قبل الميلاد وعاصر الاسكندر وبعض خلفائه . وكان عالماً باللغة اليونانية فنقل تاريخ بلاده اليها

وجعل كتابه هدية إلى أنطيوخوس ملك سوريا . وقد ضاع ذلك الكتاب ، وإنما عرفه الناس من أهل القرن الأول قبل الميلاد وعنهما نقل (أوسابيوس) و (سنسلوس) . ويبدأ بروسوس تاريخه بالخليقة حتى ينتهى إلى أيامه ، وقد وضع للدول التى توالت على ما بين النهرين جدولا هذا نصه :

اسم الدولة	عدد ملوكها	سنو حكمهم
دول قبل الطوفان	١٠	٤٣٢٠٠٠
« بعد الطوفان	٨٦	٣٤٠٨٠
« مادى	٨	٢٢٤
« أخرى	ضاعت أرقامها	
« الكلدان	٤٩	٤٥٨
« العرب	٩	٢٤٥
« الأشوريين	٤٥	٥٢٦

ولما جاء الساميون من جزيرة العرب أو اليمن كما سبق واستقروا فى العراق ومصر والشام نزل الذين اتخذوا العراق مقراً لهجرتهم فى القسم الشمالى منه ثم الجنوبى وانتشروا انتشاراً كثيراً ، ونبغ منهم سرجون الأول سنة ٣٨٠٠ قبل الميلاد واستقل بمملكة بابل هو وابنه نرامسين . وقد ثبت أن سرجون سامى الأصل كما نص عليه أثر وجدوه هناك . وكان سرجون يكتب فتوحاته بلغته الأصلية السامية ، وأول ملوك الساميين :

سامو ابى او ابن سام وهو رأس دولة حمورابى أو الدولة البابلية الأولى ، وهو أى حمورابى على ما أظن الذى كان له مع إبراهيم عليه السلام ما أخبر الله به فى القرآن الكريم . وقد بلغت هذه الدولة شأواً عظيما فى الرقى كما نصت على ذلك الآثار المكتوبة . وفى زمن حمورابى تكاملت مدنيتها . وقد ثبت بعد البحث فى الآثار اليمانية والبابلية تشابه كبير بين الأسماء والمعبودات فى هاتين الدولتين

كذلك تقارب لغة بابل من اللغة العربية ومشابهتها لحركات الاعراب كالرفع والنصب والجر

وحركات الاعراب لا توجد فى اللغات السامية الأخرى كالعبرانية مثلا إلا قليلا فى لغة سلع (بطرا) وتدمر لأن أهلها من بقايا عمالقة الشام . وأيضاً الاسم المتصرف فان علامته فى اللغة البابلية الميم بدل النون فى العربية . وهذه العلامة هى بذاتها فى لغة سبأ وحمير كما سيأتى . وصيغ الأفعال فى البابلية كصيغها فى الحميرية ، ، وقد وجدوا فى آثار دولة بابل أسماء ملوك وأسماء أعلام كثيرة تشبه العربية مشابهة كلية فى اللفظ والمعنى . وإليكم هذا الجدول :

أسماء بابلية	ما يقابلها فى العربية	أى الامم العربية
أبى يشوع	أبيشع	سبأ
عمى زادوقا	عم صدق	«
يدح ايلو	يدع ايل	«
سمشو	شمس	« وصنعاء
عبد ايل	عبد ايل	« «
عبدو	عبد	« «
خليلو	خليل	« «
يدع	يدع	« «
بديحت	بدعت	« «
اخى ودايل	ودايل	« «
عزيرو	عزرائيل	« «
يملك ايلو	ملك ايل	« «
نفسان	نفس	« «

أسماء بابلية	ما يقابلها فى العربية	أى الأمم العربية
بلال	بلال	عدنان
رديك	مدركة	»
نكارو	نكور	»
قرانو	قرين	»
صعصعة	صعصعة	»

هذا وان معبودات البابليين كثيرة الشبه فى أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها بأقدم آلهة العرب فى اليمن وغيرها . مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويتع [1] وقد نزلوا بابل واتخذوها مقراً لملكهم على حدود البادية قرب المكان الذى اختاره اللخميون كرسياً لدولتهم (الحيرة) والتاريخ يعيد نفسه

ولما شاخت دولة بابل وغلبوا تفرقوا فى البلاد العربية فى الشـــام ومصر وفلسطين وغيره ، ولم يصل إلى اليمن منهم أحد كما وهم جرجى زيدان لأن الموجات كانت تخرج من اليمن كرة بعد كرة

عاد

كثرت اضطرابات العلماء وتقديراتهم عن موطن عاد الأصلى ، فقد يقول بعضهم إنهم من عمالقة العراق نزحوا منها بعد انقراض دولتهم . ولـكن الصحيح هو أن عاداً فرع من قحطان ، وأن هذا الفرع انقسم إلى جزءين بقى أحدهما فى اليمن وذهب الآخر إلى العراق ، وكوّنوا مملـكة البابليين والآشوريين ، وظلوا أحقاباً من الزمن إلى أن ذهبت دولتهم .

ويقال إنهم رجعوا إلى اليمن وكان سكانه من القحطانيين وهم الفرع الباقى . كما يقال

---

(١) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان

إنهم غلبوا الفرع الباقى وكانوا دولا ذات شأن كبير . ولا شك أن عاداً العريقة بسكنى اليمن كانت على جانب عظيم من القوة كما وصف الله تعالى ذلك فى كتابه العزيز ﴿ قالوا من أشد منا قوة ﴾

وعاد أقدم من دول بابل ، وهى عاد الأولى ، وهم عقيب قوم نوح عليه السلام بعد الطوفان . وبقيت معبوداتهم كما هى فى قوم نوح مثل ود ، ونسر ، ويعوق فى اليمن إلى قبل الإسلام بقليل . قال الله تعالى عن عاد وقدمها فى اليمن ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾

وللمؤرخين من العرب حكايات لا طائل تحتها ، وقد أجمعوا أن قرارة دارهم اليمن . ويقول بعض المؤرخين إن ملك عاد دام قروناً طويلة ، وبلغوا من الغنى والقوة ما حملهم على الفتح خارج اليمن وتشييد القصور والمدن . ويقولون إنهم بقوا فى الملك حتى غلبهم القحطانيون . ويزعمون أن القحطانيين جاءوا من خارج اليمن فاتحين وكان لسانهم غير لسان عاد فورثوا ملكهم وديارهم وحفظوا لسان عاد وهى العربية الفصحى وتكلموا بها . وانقرضت عاد وبقى القحطانيون يتكلمون بلغة عاد فى اليمن إلى هذه الساعة

والعرب يقسمون الأمة العربية إلى ثلاثة أقسام : فيسمون عاداً العرب البائدة . والقحطانيين العرب الباقية . وغير القحطانيين العرب المستعربة . ويلحقون بالعرب البائدة طسما ، وجديس . ومن القحطانيين سبأ وحمير . والأدلة الآتية توضح لنا هذا الغموض

القحطانيون والعاديون

إن القحطانيين سابقون على عاد ، وقرارة دارهم اليمن ، ثم تفرعوا فى الأقطار فى موجات متتابعة إلى بلاد العراق والشام ومصر والحجاز . قال الأستاذ جبر ضومط بعد كلامٍ طويل حول القحطانيين والعاديين : لا أرى بداً من الإشارة إلى البراهين التى حملتنى على ترجيح ما قلت ، وهو أن القحطانيين هم أصيلون فى جزيرة العرب وهم سابقون فيها على العاديين . وبيانه :

أولا : إنه لا خلاف أصلا بين العدنانيين والقحطانيين ـ لا فى تاريخ ولا فى تقليد ـ أن القحطانية هى العريقة بسكنى اليمن ، وأنها هى التى بقيت فى البلاد بعد انقراض الدولة العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالعرب البائدة ، بعد أن نقلوا عنهم ما نقلوه من الغنى والقوة وضخامة الملك ، ولو أنهم كانوا عريقين فى البلاد كالقحطانيين ولهم مثل ما لهم من العدد والتأصل فى السكنى لكان يستحيل انقراضهم حتى لا يبقى من يشار اليه منهم . فالأقرب إلى المعقول إذن إن المعنيَّ بانقراضهم انقراض دولتهم . ولما انقرضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهرت بعدهم بالضرورة سكان البلاد الذين كانوا قد خضعوا لدولتهم ، وظهورهم معناه خروجهم من ربقة العاديين واسترداد استقلالهم أولا ثم منازعة العاديين الغلبة والملك فى ديارهم التى نزلوا فيها إلى أن تم لهم ذلك ، وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملة . وهذا معنى انقراضهم

ثانياً : كانت عاد فى هذا الزمن من الأحقاف بين عمان فى اليمن إلى حضرموت ، فكيف يعقل أنهم انقرضوا ولغتهم باقية فى هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف ينقرض أهل اللغة نفسها ؟

إن هذا لغريب . وأغرب منه أن يكون العاديون الذين انقرضوا هم أهل البلاد الأصليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد فاتحين ولهم لغة خاصة بهم ، ثم بعد أن استمر ملكهم ولغتهم مئات من السنين عدنا فرأينا فى آخرها أن لغة البلاد حينئذ كانت لغة العاديين الذين انقرضوا لا القحطانيين الذين بقوا !

ثالثاً : يكاد يكون كالمجمع عليه أن اليمن دار القحطانية ، واليك ما نقل فى ذلك . قال العلامة الإمام الطبرى : وولد لعابر ابنان ، أحدهما فالغ ومعناه فى العربية قاسم ، وإنما سمى بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت فى أيامه وسمى قحطان ، فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالح . فنزل أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن

وقال ابن خلدون : فأما عاد فكانت مواطنهم الأولى بأحقاف الرمل ويقال إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب بادية مخيمين ، ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور ، إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . وقال : وكان أبوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده وعاش كثيراً . وذكر المسعودى أن الذى ملك من بعد عاد وشداد هو الذى سار فى الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق

وقال أيضاً : ثم ملك لقمان من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال ألف سنة أو يزيد . ولم يزل ملكهم إلى أن غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت إلى أن انقرضوا

وقال أيضاً : (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التى اطلع عليها فى خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال : كانت مواطن العمالقة تهامة

ثم قال جبر ضومط : إن المتدبر ما مر بنا من أن مهد السامية هو جزيرة العرب وأن القحطانيين هم الأصليون فى البلاد وقرارتهم اليمن ، يحكم على ما أرجح بأن القحطانية الأولى انشعبت إلى فرعين : فرع بقى فى شبه جزيرة العرب ، وفرع ذهب شمالا إلى العراق فاستعمروا بابل وهناك تأثل هذا الفرع . انتهى كلام الأستاذ جبر ضومط

وقد أسلفنا أن هذا الفرع كوّن العمالقة الذين تحدثوا عنهم ، وخلاصة القول أن سكان اليمن ـ سواء عاد أو سبأ أو حمير الخ ـ من أرومة واحدة ، ولم يسمع قط بمجىء أمة إلى اليمن ، بل العكس حيث كان اليمن مصدر جميع الموجات السامية

ولو فرضنا أن تاريخ الدولة الأموية والعباسية أصيب بما أصيب به تاريخ اليمن القديم من التشتت والضياع لكنا نسمع اليوم عن هاتين الدولتين الشىء الكثير من الحدس والتخمين ، مع كون الأمتين واحدة ، وهكذا القول عن عاد وقحطان وسبأ وحمير

الأحقاف أو الربع الخالى

الأحقاف أو الربع الخالى فى الوقت الحاضر مفازة لا يسلكها أحد ، لأنها قد صارت صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا نبات سوى بعض الأودية التى تجرى فيها السيول بعد هطول الأمطار . ومعظم هذه الأرض كثبان من الرمل تنقلها الرياح من محل إلى آخر . وهذه الجبال الرملية المتحركة هى التى طمرت المدن والقصور وغيرت معالم الطرق وبدلت مجارى الأودية . وقد ذكرهم الله تعالى — أى قوم عاد — بالنعمة التى أسبغها عليهم من جنات وعيون . وموقع الأحقاف فى الشرق الشمالى وتشمل أرض سبأ

قال الهمدانى فى صفة جزيرة العرب : هى بلاد عاد ، لأنها الفلاة التى يشرع عليها بيحان ومأرب والجوف . وقد شاهدت فى مركز الجوف آثاراً قيمة وباباً لمدينة تسمى بنات عاد أى من بناء عاد

وقد وصل إلى بعض الأقسام من الربع الخالى المستر عبد الله فلبى وألف كتاباً سماه كتاب الربع الخالى . ويؤكد فيه أن هناك براهين أرضية كافية لاثبات أن بقاع الربع الخالى حافلة بالخصب فى عصور بعيدة ترجع إلى ما قبل التاريخ . وقد كانت أودية الدواسر وتثليث وغيرها تأتى من جبال عسير ذاهبة الى الربع الخالى فتكون أنهاراً تصب فى بقاعه الواسعة الانتشار . ويزعم أن هذه الوديان تناقصت وجفت لتناقص كمية الأمطار أو لحدوث زلزال شديد سد منابع المياه فأقحلت الأرض وجف الهواء فعافت الأمم القديمة السكنى فيه

ولكن أقول : ان أكبر سبب هو الريح العقيم التى كانت لا تأتى على شىء إلا جعلته كالرميم ، جزاء كفرهم بالله الذى أمدهم بأموال وبنين الخ

ملوك عاد

جاء فى كتاب التيجان لعبيد بن شرية[1] ما يأتى ، قال : لما نقل الملك إلى شداد بن عاد شمر للاستعداد للفتح . وكان فيما يقال رجلا حازماً يكره القعود فى دار الملك . فبلغ

---

(١) التيجان لوهب بن منبه ، لا لعبيد بن شريه

أقصاها ولا أحد يقف له إلا هلك

ثم مضى على ساحل سمرقند إلى أرض التبت فى الصين ، ثم عطف على أرمينية فمضى ثم جاز إلى الشام فبلغ إلى المغرب فأكثر الآثار فى المغرب حتى بلغ البحر المحيط يبنى المدن ويتخذ المصانع . ثم قفل راجعاً إلى المشرق فأنف أن يدخل غمدان ومضى إلى مأرب فبنى القصر العقيق الذى يسميه بعض الرواة (إرم ذات العماد) . ومهما كان فى هذه الرواية من المبالغة فقد كانت عاد وملوكها على جانب عظيم من القوة ، إلى أن قالوا : من أشد منا قوة . وقيل إنه عندما مات نقبت له مغارة فى جبل شبام حضرموت

الملك لقمان بن عاد

قالوا : ولما مات شداد بن عاد صار الملك إلى أخيه لقمان بن عاد . وكان قد أعطى لقمان ما لم يعط غيره من الناس . قال وهب قال ابن عباس : كان لقمان بن عاد بن الملطاط ابن السكسك بن وائل بن حمير نبياً غير مرسل

وقال أبو محمد : لقيت عامة من العلماء يقولون إن لقمان وذا القرنين ودانيال أنبياء غير مرسلين ، وعامة يقولون عباد صالحون

وقال وهب : لقمان بن عاد هو الذى سمته حمير الرائش لأنه كان متواضعاً لله تعالى . ولهم فى لقمان قصص متعددة . والبعض يعتقد أنه لقمان الحكيم المذكور فى القرآن الكريم . ويقولون إنه صاحب السبعة الأنسر الخ

ويقولون : إنه لما صار اليه الأمر بعد شداد كان الناس يأتونه من أقاصى الأرض وأدانيها . ثم ملك بعد لقمان أخوه الهمال بن عاد وهو ذو شدد ، وانما قيل له ذو شدد بلغة حمير كذو شطط بن عاد . ثم ملك الحرث بن الهمال وهو الحرث ذو مراثد وكانت تأتى اليه الهدايا من الهند مثل المسك والعنبر

هذا ما يقولونه عن عاد وملوكها . ويلاحظ هنا أنهم لم يفرقوا بين عاد وسبأ وحمير ، وهو ما أعتقده

ثمود

جاء ذكر ثمود بعد عاد . وكانت مواطنهم فى اليمن ، ثم رحل قسم كبير منهم إلى الحجر ، وهناك شيدوا المدن والقصور . وليس بين أيدينا ما يشبع نظر الباحث عنهم ، عدا ما قصه الله تعالى علينا فى القرآن الكريم

قال تعالى ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم . . . واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾ الخ

أما علماء التاريخ فلم يتوسعوا فى الحديث عن ثمود ، اللهم إلا بعض الروايات البعيدة عن الواقع

وقال جرجى زيدان : إن ارتباط ثمود بعاد يقتضى تقاربهما فى المكان ، وكذلك قالوا : إن ثموداً كانت فى اليمن قديماً ، فلما ملكت حمير أخرجوها إلى الحجاز . ولم يتوصل المستشرقون إلى الأدلة الكافية التى تستند إلى الآثار ، وكل ما هنالك أنهم عثروا على آثار فى مدائن صالح وقرأوا نقوشها فاستدلوا من ذلك أن ثموداً اندمجت فى حوزة النبطيين سكان بطرا (سلع) وذلك مما وجدوا على أطلال تلك المدائن فى الكتابة النبطية وهى منقوشة فى الصخر ، منها ما يأتى :

« إن هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكليبة لأنفسهن وذريتهن فى شهر طيبة من السنة التاسعة للحرث ملك النبطيين محب شعبه ، فعسى ذو الشرى وعرشه واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضواً أو يدفن فيه أحداً غير كمكم وابنتها وذريتها . ومن يخالف ما كتب عليه يلعنه ذو الشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم غرامة مقدارها ألف درهم حارثى ، إلا من كان بيده تصريح من كمكم أو كليبة أو بنتها بشأن هذا القبر . والتصريح المذكور

يجب أن يكون صحيحاً . صنع ذلك وهب بن عبد اللات بن عبادة » اه

ويؤيد وجود ثمود فى اليمن قبل نزوحها وجود كتابات لفروع الخط المسند حيث عثروا عليه فى أماكن مختلفة من الحجاز منقوشة على الأحجار فى العلا جنوبى الحجر بتاريخ أوائل الميلاد وقرأوا فى بعضها أسماء ملوك لحيان . ثم عثر بعض الأثريين على كتابة لفرع ثالث من الخط المسند فى جبل الصفا بحوران

وذكر أبو اسمعيل صاحب كتاب فتوح الشام أن ثموداً ملأوا الأرض بين بصرى وعدن

الخط المسند

لا نبالغ إذا قلنا إن الخط المسند ـ أو الخط الحميرى ـ سابق لغيره ، وهو أول خط وضع للتدوين . وقدمنا فيما سبق أن حضارة اليمن سابقة لغيرها . وعلى هذا يكون أول خط وضع لتسجيل الفوائد وتخليدها هو الخط الحميرى

ويزعم بعض علماء الآثار أن اليمانيين اقتبسوا الخط من الفينيقيين وهو وهم ، بل العكس إذ أن الفينيقيين فرع من اليمانيين . وحضارة اليمن أقدم من حضارة الفينيقيين بأمد بعيد . ويشهد لنا على ذلك عدم تأصل الفينيقيين فى سواحل البحر الأبيض المتوسط وأنهم هاجروا من سواحل البحرين . وقد مر الخط الحميرى بأدوار تهذب منها إلى أن أصبح بالشكل المعروف . وقد عثر علماء الآثار على فروع للخط المسند فى الحِجْر نقلته ثمود ، كما وجدوا ذلك فى حوران والصفا . ومما يؤكد ذلك ما مر قريباً وهو أن الحروف الهجائية اليمانية أول حروف عرفت ما ذهب اليه الأستاذ رزق عيسى ، حيث قال : لنرجع إلى تلك الحضارة القديمة ولنبعد النظر فى اكتشاف الكتابة المعينية التى تدل على وجود حروف هجائية أقدم عهداً من الحروف الفينيقية التى اشتهرت فى العالم القديم بأنها الحروف الأولى التى استنبطت لغاية تدوين الأفكار وصيانتها من الاندثار والطموس

وقد أجمع أهل التحقيق والتدقيق على أن حروف الهجاء اليونانية والرومانية وسائر حروف هجاء الأمم الحديثة مقتبسة كلها إما رأساً أو بوسيلة من الوسائل من مخترعيها الفينيقيين ، غير أن كتابة المعينيين كشفت اللثام عن صور كتابة أقدم عهداً من جميع الكتابات التى ظهرت وانتشرت فى ذلك الحين ، ومن ثم فقد ذهب بعض العلماء الواقفين على أصل اللغة وتركيبها وتاريخها إلى أن الحروف الفينيقية مشتقة من الحروف المعينية . ولا شك فى أن اللغة المعينية وحروفها أقدم عهداً بكثير من سائر لغات الساميين وكتاباتهم . ومن المحتمل أن العناصر السامية اختارت تلك الحروف بعد أن عدلتها وهذبتها حسب طبيعتها وميلها ، وكان للمقتبسين علاقات تجارية ومواصلات برية مستمرة تحمل على ظهور الجمال فتخترق القوافل صحارى بلاد العرب وتعود حاملة لبانها وطيوبها وأفاويهها وآدابها ومعارفها . ولا يعقل أن تلك الأقوام استمرت جاهلة استعمال حروف الهجاء حتى اقتبستها فينيقية من مصر ونشرتها فى أطراف المعمور . اه

وقد أيد الأستاذ (سايس) هذا بقوله : انه إذا ذهبنا إلى أن مصدر الحروف ومنشأها كان فى بلاد العرب يكون أحسن حل لهذه المعضلة . لأن أسماء صور الحروف الفينيقية ليس فيها أدنى شبه فى كثير من الأحوال للرموز والاشارات التى تدل عليها ، فان تناولنا مثلا الحرف الأول وهو (ألف) (ثور) فان رسم الألف يشابه كل المشابهة رأس ذلك الحيوان فى الكتابة المعينية ، هذا وإذا أنعمنا النظر فى الحروف الهيروغليفية وهى الحروف المصرية القديمة فلا نجد شبهاً لذلك الحرف . وإن المكتشفات المقبلة فى بلاد العرب ستوقفنا على أنباء الشعوب التى سكنت تلك الأصقاع ومصرتها قبل عصر التاريخ . اه

وقال المستشرق قلازر الألمانى الشهير : إن الكتابة المعينية ترجع إلى ما قبل تاريخ المسيح بألف سنة . ومن الثابت أن الكتابة المسندة فى جميع دول اليمن واحدة . ومما وجدناه فى الجوف وغيره يؤكد لنا أن كافة الدول اليانية القديمة من أصل واحد ، وان الجوف وغيره يؤكد لنا أن كافة الدول اليمانية القديمة من أصل واحد وان اختلفت الأسماء ، مثل سبأ وحمير ومعين الخ . ومن فروع الخط المسند الخط الحبشى وقد نقلته إلى هنالك الأقوام المهاجرة . وفيما يلى بيان هذا الفرع :

حبشي	حميري	عربي
አ	𐩱	ا
በ	𐩨	ب
ገ	𐩴	ج
ደ	𐩵	د
ሀ	𐩠	ه
ወ	𐩥	و
ዘ	𐩸 𐩸	ز
ሐ	𐩢	ح
ጠ	𐩷	ط
	𐩶	غ
ዐ	𐩲	ع
መ	𐩣	م
ነ	𐩬	ن
ሰ	𐩯	س
ኀ	𐩭	خ
ፀ	𐩳	ض
	𐩼	ظ
ፈ	𐩰	ف
ጸ	𐩮	ص
ቀ	𐩤	ق
ረ	𐩧	ر
ሠ	𐩦	ش
ተ	𐩩	ت
	𐩻	ث
	𐩹	ذ
የ	𐩺	ى
ከ	𐩫	ك
ለ	𐩡	ل

ويلاحظ هنا أن أكثر الحروف الحبشية على أصلها فى المسند ، والباقية محورة قليلا . ويرى بعض العلماء أن الحروف الحميرية متعددة الأشكال ، ولكن لا يعد الاختلاف البسيط شكلا مستقلا ، وقد يكون ذلك من قبيل الزينة كما فى الحروف العربية ولا يخرج الحرف عن هيئته الأصلية . والذى وجدناه فى الجوف وفى التماثيل والأحجار إنما هو بشكل واحد ، وربما أنه كان يعثر الباحث على حرف مشوه أو مكسور فيظنه شكلا آخر .

الاصطلاحات الخطية الحميرية

الاسم المنصرف يلحقه فى آخره ميم بدل التنوين . فمثلا (محمدٌ) يكتب (محمدم) وتحذف الميم فى الإضافة . أما القواعد العربية فمثلا ملك سبـــــأ تحذف الميم فى ملكم . والحروف الحميرية غير متصلة ويفصل بين كل كلمة وأخرى بخط عمودى . وأيضاً تكون الميم علامة الجمع السالم . وعلى القارىء أن يفرق بين الميم التى للتنوين والتى تفيد الجمع وذلك من معنى الجملة .

واسم الإشارة حرف (ذ) ، ويجوز أن يقرأ ذا ، أو ذو .

وحروف العلة ـ وهى الواو والياء والألف ـ تحذف إذا جاءت فى وسط الكلمة . فمثلا (قائدٌ) تكتب (ق اد م) و (زيدٌ) يكتب (زدم)

وهذه الاصطلاحات حملت كثيراً من الناس على الاعتقاد بأن اللغة الحميرية فيها كثير من كلمات غير عربية ، مع كونهم أصل العرب كما هو معلوم لدى الجميع

وأداة التعريف أم بدل أل ولكنها غير موجودة فى النقوش ولا نعرف السبب فى ذلك . والفعل الذى على وزن أفعل تبدل الهمزة فيه هاء مثل اسمع هسمع أقعد هقعد . ولا يزال ذلك مستعملا فى لغتنا باليمن إلى اليوم

والضمير بالاشباع ، فمثلا بيته (بيتهو) وأيضاً صاحبهم (صاحبهمو) . وضمير المثنى المتصل (همى) بدل هما فيقال لهمى مكان لهما .

والتاء المربوطة كالمفتوحة فقبيلة تكتب قبيلت . وجمع التكسير فى بعض الأسماء يأتى على وزن افعل مثل ذكور (أذكرم) والميم الآخرة للجمع

وهذه قطعة من الكتابة الحميرية مؤلفة من خمس عشرة كلمة :

وهذ شرحها : وهب وأخوه (أقنوا) أعطوا (ألمقه) الإله صاحب هران (مزندن) لوح (حجن) بسبب وفاة ، وإجابة سؤالهم وإسعادهم بالنعم

وهذا الشرح لا يختلف عن أصل القطعة سوى كلمة مزندن أى لوح ، وحجن أى بسبب . وبقية الكلمات عربية فصحى

وهذه قطعة أخرى :

وهذا معنى كل كلمة على الأصل :

اسعـــد . وزفهمو . اولدم . اذ كرم ، هنام . وزفهمو . أثمرم . وافقلم . البعل . بيتهمو . بن حــرم . ولسن . ومعض . وهرم . وسفر . كل . انسم . ذى يشصبى . بهمو . صدقم

وهذا شرحها للأستاذ جويدى المستشرق الإيطالى : قبر (سعد) فعل بمعنى أعان كالعربى (وزفهمو) فعل أصله وزف أى وضح وهمو ضمير جمع الغائب (اولدم) أى أولاد حذفت منه الألف قبل الدال وهو كثير والميم بدل التنوين فى العربية (اذ كرم) أى اذ كراً والميم بدل التنوين وهوجمع ذكر ضد الأنثى . وليس فى هذا الجمع قياساً فى العربى فان ما كان من الأسماء العربية على وزن فعل لا يجمع على افعل إلا إذا كان ساكن العين مثل فلس وأفلس (هنام) أى هنيئاً كالعربى حذفت منه الياء قبل الهمزة كالعادة والميم فيه للتنوين فأصل الكلمة فى الحميرى ه ن ى م يقابلها فى العربية ه ن ىٔ منونة (اثمرم) أثمار حذفت الألف قبل الراء والميم بدل التنوين . (وأفقال) جمع فقل والفقل الريع ، يقولون : الأرض هذا العام كثيرة الفقل ، وقد أفقلت أرضهم إفقالا . (دونى) أى أتم وأدى (أبعل) أى ابعالا جمع بعل بمعنى صاحب محذوف الألف قبل اللام (بنيهمو) معروف (بن) أى من بالباء بدل الميم كما يقال بكة فى مكة (جرى) سوء ولكننا لا نعرف اشتقاق الكلمة (ولسن) أى لسان حذفت الألف قبل النون (ومعض) هو عربى كما يقال معض هذا الأمر وامتعض منه أى غضب وشق عليه وأوجعه (وهرم) أى ضعف (سفر) لا نعرف له أصلا فى العربية الحديثة وقيل هى فى الحميرية التشتت (أنسم) أى أناس حذفت منه الألف بعد النون والميم فى آخره بدل التنوين (ذ يشصبى) هى ذو الطائية بمعنى الذى و يشصبى محذوف الواو فهو يشصبون ومعناه يوقعون من شعب أى أوقع (صدقم) أى صدق والميم بدل التنوين ا هـ

وهذه أيضاً قطعة أخرى للأستاذ المذكور :

(سعداله) وهو علم (وبنهو) أى و بنوه والياء محذوفة كما قلنا ذلك قبلا أن الألف والواو والياء كثيراً ما تحذف من وسط الكلمة فى الكتابة الحميرية . واعتبرنا المحذوف ياء لا واواً كما تقدم من أن ابن يكون جمعه بالياء إذا كان لرجل وبالواو إذا كان لقبيلة وهو فى و بنيهو هى بدل ضمير الغائب وهو الهاء (بنو) جاء بالواو لأنه لأبناء القبيلة (مرثدم) اسم قبيلة وهو علم كبيرها و الميم فيه بدل التنوين (هقنو) أى اعطوا . وقد تقــدم مثل

هذا[1] (المقة) اله تقدم شرحه (ذ هرن) أى صاحب هران[2] (حجن) أى لان أو بسبب (وقههمو) أى بسبب اجابتهم (مزندن) لوح فى اللغة الحميرية (بمسألهمو) بسؤالهم (بعل) أى صاحب (أوم) أى أوام وهو اسم بلد حذفت منه الألف قبل الميم (ذعرن) أى ذو عران حذفت منه الواو والألف وهو اسم موضع قرب اليمامة (الو) اسم موضع (فوقه) أى اجابه (مرثدم) أى مرثداً والميم فى آخره بدل التنوين (المشيم) وهو من شام بمعنى وضع (اسررهمو) أى أسرارهم محذوف الألف وهو جمع سر (وقههمو) تقدم شرحه (ليصلم) أى ليحمى (قعتم) أى قيعه جمع قاع بمعنى الأرض الواسعة السهلة التى انفرجت عنها الجبال ولا تزال مستعملة لدينا فيقال « أريد أقيع » أى أطلب الفضاء للراحة (وشعبم) وشعباً وهو القبيلة والميم بدل التنوين (بثو) أى بثوى اسم مكان من ثوى أى أقام وهو محذوف الألف من الآخر . (بخرف) أى بخريف محذوف الياء وكانوا فى جنوب الجزيرة يعتبرون العام فصلين وهما الشتاء والصيف

(وليبتورو) أى وليبردوا (بنهو) أى بنيه وقد تقدم نظيره (ولذبحو) معروف (بشمنى) والياء محذوفة وهو مثنى مشيم والياء والنون للتثنية وهو من شام أى وضع

(عثتر) اسم إله (وشمش) كذلك اسم إله (وذبحوا) معروف (بهرن) أى بهران وهو اسم بلد الذى كان يعبد فيه المقه المتقدم ذكره (حجن) أى لأن أو بسبب

(علم) معروف (هو) معروف (تعلم) معروف (سدله) أى سعدان وقد تقدم ذكره (علم) معروف (راء) أى راء (بن) أى من ، وقد تقدم فى بكة بدل مكة والباء بدل الميم (بردم) أى برد والميم بدل التنوين (ومناه) معروف اه

---

(١) قد جاءت فى القرآن الكريم كلمة أقنى

(٢) او ذو هران

وهذه قطعة أخرى وجدت على تمثال ملـكين نشرت صورتهما فى مجلة الرابطة العربية :

وهذا شرحها : (تبع) اسم ملك (ذ وهبن) ذو وهبان (حمد سعنى) حمداً وشكراً (مراهم) سيدهم أو آمرهم (الشرح) اليشرح (يحضب) والمشهور يحصب بالصاد المهملة ولـكن المسند أصدق فهو بالضاد المعجمة [1] (ملك) سبأ (يثبر) لا أعرفها (ووضم) معروف

(١) وهذا غير يحصب المشهورة

هذه أهم الـكلمات . وما عدا ذلك فقد سبق أمثاله فى القطع الأولى

والنقوش الحميرية لا حصر لها فى كل مكان وأغلبها أسماء أعلام . ولم أقف مع كثرة البحث والتتبع على مصادر سياسية مهمة . ولا تخلو قطعة من النقوش من ذكر الآلهة والقرابين

هذا ونـكتفى من النقوش هنا بهذه القطعة وهى مطبوعة فى لوح حديدى فى غاية الإبداع . وهذا اللوح موجود فى الباب القبلى من الجامع الـكبير بصنعاء

وهذا شرحها :

وهبعثت يقد وبنيهو رثدثون ازاد وهوقعثت يهشع ووهب اوم يرحب وسعدثون بنو جدن شمو مصرعى قنوت صرحتهمو تقضى بمقام سيدهم كرب إل المعظم يهنعم ملك سبأ بن وهبا حاز ملك سبأ

وكلها أسماء أعلام ، وهى عبارة عن ضريح كان فى أحد المقابر

المعينيون كما سماهم اليونان وعلماء الآثار

لو تتبعنا ما جاء فى تواريخ اليونان ، وكذلك علماء الآثار مثل يوسف هلفى وقلازر الخ ، لوجدناهم يعتبرون هذه الدولة غريبة عن دول سبأ وحمير . ويقولون إن هذه الدولة وجدت قبل المسيح بأربعة آلاف سنة . ويقولون إنهم جاءوا إلى اليمن من بابل ، ويقولون إن دولة سبأ ظهرت قبل الميلاد بألف سنة ، ويقولون إن دولة حمير بدأت سيطرتها قبل المسيح بمائة وخمسين سنة إلى غير ذلك . وسنمشى معهم الآن لنعرض ما جاء عنهم .

الدولة المعينية :

تنبه العلماء إلى هذه الدولة مما ذكره اليونان عنها ، قال استرابون فى كلامه عن بلاد اليمن : يشمل القسم الجنوبى من جزيرة العرب أربعة شعوب : المعينيون وعاصمتهم قرنا . والسبأيون وعاصمتهم مارب . والقتابيون وعاصمتهم تمنا . والحضرموتيون وعاصمتهم شبوة

وذكر فى مكان آخر أن المعينيين يحملون التجارة إلى بطرا (سلع) مدينة الأنباط . وذكر بلينيوس أن المعينيين يقيمون فى بلاد كثيرة الغاب أو الأغراس . وذكرهم أيضاً بطليموس وأطرى سلطتهم وسعة تجارتهم

أما علماء الآثار مثل هلفى وقلازر فهم يعتقدون أن بحثهم كان أدق ، وقد توفقوا إلى معرفة ملوك هذه الدولة ، لكنهم مختلفون فى أصلها . فذهب بعضهم إلى أن المراد بلفظ معين المنائيون نسبة إلى منى ، وقال آخرون غير ذلك

ونحن نقول إنهم أمة من سبأ أو حمير أو عاد وليسوا غرباء عن اليمن ، ولم يجيئوا من بابل أو غيرها كما قدمنا

ملوك معين

وهذا جدول أسماء ملوك المعينيين كما جاء فيما عثروا عليه من أنقاض الجوف وعددهم ٢٦ ملكا يشترك كل بضعة منهم باسم واحد، ويتميزون بعضهم عن بعض بالألقاب إذ كان لملوكهم نعوت تفخيم، مثل قولنا الغازى والفاتح والناصر ونحو ذلك . وهذه أسماؤهم مرتبة حسب تشابهها :

(١) اب يدع (بدون لقب)
(٢) « « بتع (أبى المنقذ)
(٣) « « ريام (أى السامى)
(٤) اليفع (بدون لقب)
(٥) « يفس (الشهير)
(٦) « ياسر (أى السعيد)
(٧) « بتع (أى المنقذ)
(٨) « ريام (السامى)
(٩) وقه إل بتع (أى المنقذ)
(١٠) « نبيط (لقب شرف)
(١١) « صديق (أى الصادق)
(١٢) « ريام (أى السامى)
(١٣) حضن بن اب يدع (بدون لقب)
(١٤) « « « « ريام (أى السامى)
(١٥) « صديق ابن يفع كرب
(١٦) « ريام بن اليفع ياسر

(١٧) يفع إل بدون لقب

(١٨) « صديق (أى الصادق)

(١٩) « ريام (أى السامى)

(٢٠) فال كرب صديق (أى الصادق)

(٢١) هو قعثت بن اليفع ريام (أى السامى)

(٢٢) معدى كرب بن اليفع يتبع

(٢٣) بتع كرب بن يفع إل ريام (أى السامى)

(٢٤) ام بتع بن أبو كرب

(٢٥) أبو كرب

(٢٦) بتع كرب

وقد وجد الأستاذ مولر بعد درس النقوش المعينية أن الحكومة فى هذه الدولة كانت وراثية أى تنتقل من الأب إلى الابن ، وقد يتولى الاثنان معاً

نفوذ المعينيين

امتد نفوذ المعينيين إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط وشواطىء خليج العجم وبحر العرب ، أى أنها شملت كل جزيرة العرب ، وكانت طرقها التجارية ممتدة فى أواسط جزيرة العرب وامتدت سيادتها ومستعمراتها إلى أعالى الحجاز . كما تدل النقوش المعينية فى العلا قرب وادى القرى وفى الصفاء وفى حوران وغير ذلك

ويؤخذ من نقش قرأه قلازر رقم (١٠٠٠) أن السبأيين أفنوا المعينيين يوم كان ملوك السبأيين يلقبون (مكرب) . ويرى الأستاذ مولر أن كارنا أو قرنا التى ذكرها استرابون هى قصبة المعينيين وهى عاصمتها الحديثة وأن معين عاصمتها القديمة ، ولغة المعينيين كثيرة

الشبه باللغة السبأية ولغة حمير وحروفها واحدة تقريباً . ولكنها تختلف عنها فى ضمير الغائب حيث يكون فى المعينية السين بدل الهاء

ولا شك أن معين وسبأ وحمير أمة واحدة ، وان اختلفت فى الزمان والمكان . وقد قدمنا أن الآثار التى وجدت لم تكن تكفى للاعتماد الكلى عليها وخصوصاً انه لم يحصل فى اليمن تنقيب فنى عن الآثار ، وإنما كل ذلك على جهة المصادفة . ونحن نعتقد أن دولة سبأ قديمة جداً ليس كما قالوا إنها وجدت بألف سنة قبل الميلاد فقط

الدولة السبأية أول ملوكها سبأ

ان تقدير وجود هذه الدولة قديم جداً ، فعرب اليمن بل وسائر العرب تنتسب إلى قحطان ، وقحطان أيضاً قديم . وأن العاديين فرع من القحطانيين ، وعاد بعد قوم نوح عليه السلام . ودول بعد الطوفان يقدّر زمنها بعشرات الآلاف من السنين كما جاء عن المؤرخ الكلدانى بروسوس المتقدم ذكره ، وان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا ﴾

وسبأ من ولد قحطان ، قال المسعودى : أول من يعد من ملوك اليمن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقحطان بن هود . وهود بن عابر بن فالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح .

ومهما كان نصيب هذه الرواية من الصحة فلا تخلو عن فائدة . قال نشوان الحميرى فى قصيدته المشهورة :

وسبا بن يشجب وهو أول من سبا   فى الحرب قدماً كل ذات وشاح

قال : وكان الملك سبأ اسمه عامر ، كان يعبد الشمس فسمى عبد شمس ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ورثنا المجد من جدٍ لجد   وراثة حمير من عبد شمس

وقيل : ان الملك سبأ غزا بابل وفتحها فى قصة طويلة ، ورجع إلى اليمن بعد أن طاف بالشام

وقيل : ان المسبى كان غير معروف إلى زمانه ، وقيل إنه بلغ إلى خراسان وأدب من عصاه وسبا السبايا فسمى سبأ

وقيل : إنه الذى بنى سد مارب ، وأنه هو الذى قسم الملك بين ولديه حمير وكهلان ونصب ولده حمير ملكا مكانه بعد أن جمع أهل مملكته وأجلس حمير على يمينه وكهلان على يساره ثم قال : « أيها الناس ، هل يصلح ليمينى أن تقطع شمالى ؟ وهل يصلح لشمالى أن تقطع يمينى ؟ فقالوا : لا يصلح ذلك لها . فقال أرأيتم إن غفلت عنها وأراد بعضها أن يقطع بعضاً ، ما أنتم صانعون ؟ قالوا جميعاً يمنع اليمين عن الشمال ، ويمنع الشمال عن اليمين . قال : أعطونى على ذلك العهود . فأعطوه العهود والمواثيق على منع بعضهما من بعض . فقال : أيها الناس إنى لم أر بين يدى إلا ولدىَّ هذين : حمير وكهلان . ولا آمن أن يختلفا من بعدى . فأعطوا حمير من ملكى ما يصلح لليمين ، وأعطوا كهلان ما يصلح للشمال . وإنى قد جعلت حمير على يمينى لأنه أكبر من كهلان ، وجعلت له ما يصلح لليمين . وجعلت كهلان عن شمالى ، وجعلت له ما يصلح للشمال ، لأنه أصغر من حمير

فقالوا جميعاً : يصلح لليمين السيف والقلم والسوط . وحكموا للشمال بالعنان والترس والقوس والدواة . وقال : ان صاحب السيف يصلح للثبات والوقوف فى موضعه ، وصاحب القلم لا يكون إلا مديراً راعياً . وصاحب السوط لا يكون إلا راضياً

وخلاصة القول أنهم رجحوا الملك فى حمير ، وقيادة الجيوش وحماية الثغور لكهلان[1]

ومهما كان نصيب هذا الخبر من الصحة فهو يذكرنا بالشورى فى أيام الملكة بلقيس (رضى الله عنها) . قال الله تعالى ﴿ يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾

---

(١) انظر ذلك فى شرح القصيدة النشوانية

حمير بن سبأ

قالوا ولما توفى سبأ ملك بعده ابنه حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام . فجمع الجيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين . وأمعن فى الشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس وبقى تحت يده الترك والزط والسكرد والصغد والخزر والديلم . ثم قفل راجعاً نحو المغرب كما فعل أبوه ، فسار حتى نزل بمكة . فأتاه قبائل من اليمن يشكون اليه ثمود بن عابر بن إرم وما نزل بهم منه فى الظلم . ولما رجع حمير إلى اليمن أصرَّ على إجلاء ثمود من اليمن ، فأنزلهم أيلة من أرض الحجاز

وقيل كان يدوّن فتوحاته وأعماله الهامة بالمسند على الأحجار والحديد ، وكان يكتب اسمه على الأسلحة

قال المسعودى فى (مروج الذهب) : ثم ملك حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ، أشجع الناس فى وقته وأفرسهم . وكان يعرف بالمتوّج ، وكان أول من وضع على رأسه التاج الذهب من ملوك اليمن . وقد بلغ من الغنى مبلغاً عظيما حيث كانت تجبى إليه الأموال من كافة الأقطار التى شملها حكمه ، وتجلب اليه الهدايا من الأقطار النائية الخ . ولم يكن هذا بعيداً على أمة مثل اليمن أسست حضارة رائعة حتى إنها عملت مجارى للمياه فى الصحراء إلى البحر الأحمر معمولة من جلود البقر

هكذا تقول بعض مؤلفات الغرب عن حضارة اليمن

وقال نشوان الحميرى :

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا ... رهن البلا بضرائح وصفاح
آثارهم فى الأرض تخبرنا بهم ... والكتب من سير تقص صحاح
أسماؤهم منها تنير وذكرهم ... فى الطيب مثل العنبر النفّاح
ملكوا المغارب والمشارق واجتبوا ... من بين أنقرة ونجد الجاح
ملكت ثمود وعادٌ الأخرى معاً ... منهم كرام لم تكن بشحاح

واتفق كثير من المؤرخين على أن حمـير ملك بعد أبيه سبأ ، فأبو الفداء وابن خلدون والمسعودى واليعقوبى ونشوان الحميرى لا يختلفون فى ذلك ، إلا أنهم يختلفون فى من ملك بعد حمير بن سبأ ، فنشوان يقول إنه الهميسع بن حمير ، وأبو الفداء وابن خلدون على أنه وائل ، والمسعودى واليعقوبى على أنه كهلان بن سبأ أخو حمير . وهكذا اختلف المؤرخون فى ترتيب ملوك حمير وأسمائهم حتى قال حمزة الأصفهانى : إن بين حمير والحرث مائة وخمسين أبا

وإليـكم ما جاء عن هؤلاء فى ترتيب أسماء الملوك :

نشوان الحميرى	المسعودى	اليعقوبى	ابن خلدون	أبو الفداء
حِمْيَر	حِمْيَر	حمير	حمير	حمير
الهميسع	كهلان	كهلان	وائل	وائل
أيمن	أبو مالك	أبو مالك	السكسك	سكسك
زهير	جبار بن غالب	جنادة بن غالب بن زيد	يعفر	يعفر
عريب	الحرث	الحرث بن مالك	النعمان	ذو رياش
الغوث	الرائش بن شدد	الرائش بن شداد	ذو رياش	النعمان
وائل	أبرهة بن الرائش	أبرهة بن الرائش	أشمح	أشمح
عبد شمس	أبرهة بن الرائش	أبرهة بن الرائش		شداد
زهير الصوار	ذو الأذعار	افريقس	الحرث	لقمان
ذو يقدم	المدهاد	العبد ذو الأذعار		ذو سدد
ذو آنس	تبّع الأول			الحرث
عمرو	بلقيس			
الملطاط				
القلميص				
سـدد				

الحرث الرائش ويعتبرونه أول التبابعة

هذا ما جاء فى تواريخ العرب . فلنرجع إلى ما جاء عن غيرهم مثل تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان :

مدة الحكم	أسماء الملوك	مدة الحكم	أسماء الملوك
١٢٥	الحرث الرائش	١٢٠	أسعد أبو كرب
١٨٣	أبرهة ذو المنار	٧٠	حسان بن تبع
١٦٤	أفريقس بن أبرهة	٦٣	عمرو بن تبع
٢٥	العبد ذو الأذعار	٧٤	عبيد كلال
٧٥	هدهاد بن شرحبيل	٧٨	تبع بن حسان
٢٠	بلقيس بنت هدهاد	٤١	مرثد بن عبيد
٨٥	ناشر ينعم	٣٧	وليعة بن مرثد
٣٧	شمر يرعش	٠٠	أبرهة بن الصباح
٥٥	أبو مالك	١٥	الصهبانى بن محرث
٥٣	تبع بن الأقرن	٥٧	حسان بن عمرو بن تبع
٧٠	ذو جيشان	٢٧	ذو شناتر
١٦٣	الأقرن بن أبى مالك	٢٠	ذو نواس
٣٥	كليكرب	٨	ذو جدن آخر التبابعة

فيكون عدد التبابعة بناء على هذا الجدول (٢٦) وقد اعتبر أولهم الحرث الرائش ، و بقوا فى الحكم ١٧٠٠ سنة . إلا أن جرجى زيدان يعتبر هذه المدة لدولتى سبأ وحمير بما فيها التبابعة ، بينما يعتبرها حمزة الأصفهانى خاصة بالتبابعة . وقد قدمنا قوله بأن بين حمير والحرث

الرائش الذى يعتبرونه أول التبابعة ١٥٠ أباً . والاختلاف بين المؤرخين كبير . ولـكن سنعتمد على القصيدة النشوانية

قال نشوان : ولما توفى حمير ملك بعده ابنه الهميسع ، وقد أوصاه بالاتحاد وتدبير الملك وحفظ سيرة والده ، وقد آزره عمه كهلان ، وأوصى بنيه بالطاعة للهميسع كما كانوا فى عهد حمير ، فأجابوه إلى ذلك ، وتقلد بنو كهلان قيادة القوات وولاية الأمصار ودفعوا له الأتاوة ، فندب إلى أرض الحجاز جرهم بن الغيث بن شدد بن سعد بن جرهم بن قحطان وأمرهم بالسمع والطاعة

ولما توفى الهميسع صار الملك إلى ابنه أيمن ، فسار سيرة أبيه وحفظ جميع ما انتهى اليه بعد والده وأسلافه ، فحمدت سيرته ورغب فيه الناس

الملك زهير

قام من بعد أيمن ابنه زهير ، فسار كما سار أجداده ، وكان له ولد اسمه عَريب وليس له غيره ، فورث الملك من أبيه وسار سيرة حسنة . ثم صار الملك إلى ابنه الغوث ثم إلى وائل . وفى أيام وائل بن الغوث توسعت حدود المملـكة فخافه ملوك الفرس وخافوا أن يعيد تاريخ سبأ الذى أباد الـكثير بالقتل والسبى فعمدوا إلى مصالحته . وهكذا توالى الملك إلى أن وصل إلى الحرث الرائش وهو آخرهم وأول التبابعة

قال الهمدانى فى الجزء الثانى من الاكليل وقد عثرت على كراسة منه ما لفظه :

قال أهل السجل: أولد الهميسع بن حمير يامناً وأيمن ومهسعاً والهاسع ومنيعاً وأفرع . فمن ولد يامن أسلم الأقدم ورعويل وقدمان وبنو أبى زرح وهم أهل الرس . ثم قال : وأما أخبار حمير فأخبار كثيرة قديمة مشتركة بين جميع الأمم قد زيد فيها ونقص وحمل عليها وحذف ، واشتبه كثير من رجالها على أهل البعد من اليمن فنحلوا بعضاً ما لبعض وسموا

بعضاً بأسماء بعض . فمن نظر فى هذا الكتاب[1] فليعمل من الأسماء على ما وضعناه فى صدره وفى عجزه من النسب وقيدناه وحصرناه إلا ما لم نجد إلى تلافى ما قصر منه سبيلا فى نسب خولان وهمدان . ومن الأخبار والسير ما صححناه وجعلناه ووسمناه فى تصانيف الاكليل بالصحة ، إلا ما اختلف فيه فقد نبهنا عليه وأشرنا اليه ، أو ما شذ فلم يعرفه إلا الواحد والاثنان من أهل اليمن دون الجماعة فقد أهملناه ورفضناه

تم كتاب الاكليل الجزء الأول والثانى وانقضى بانقضائه نسب الهميسع بن حمير ، والحمد لله العلى الأكبر ، وصلواته على نبيه خير البشر ، وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته . اه

نقله محمد بن أحمد بن منصور ويسمى أبا نصر بعد الهمدانى بأربعة قرون تقريباً

دولة سبأ أو العصر السبأى

كما جاء فى تاريخ العرب قبل الإسلام

قال جرجى زيدان : لا يستطاع تحقيق مبدأ هذه الدولة ، وان اعتبرنا (يتعمر) المذكور فى الجدول الآتى أقدم رؤسائها كان أولها فى القرن الثامن قبل الميلاد ، فاذا كان المراد بسبأ جزيرة العرب كانت بداية هذه الدولة أقدم من ذلك . أما ملوكها فقد بلغ عدد الذين وصلت أسماؤهم الينا من استنطاق الآثار ٢٧ ، منهم ١٥ مكرباً و١٢ ملكا . وهذه أسماؤهم حسب تعاقبهم باعتبار التوارث ، ولهم ألقاب غير ألقاب الدولة المعينية وهى خمسة :

وتار ومعناها العظيم . وبين ومعناها الممتاز . وذرح ومعناه الشريف . وينوف ومعناه السامى . ويوهنعم ومعناه المحسن

(١) يقصد الجزء الثانى من الاكليل

مكارب سبا :

١ يثعمر
٢ ذمار على
٣ يدع إيل بن ذمار على
٤ كرب إيل وتار بن ذمار على
٥ سمهعلى ينوف بن ذمار على
٦ يثعمر بين بن سمهعلى ينوف
٧ سمهعلى
٨ يثعمر وتار بن سمهعلى
٩ يدع إيل ذرح بن سمهعلى
١٠ سمهعلى ينوف بن يدع إيل ذرح
١١ يثعمر وتار بن يدع إيل ذرح
١٢ يدع إيل بين بن يثعمر
١٣ سمهعلى ينوف بن يثعمر
١٤ كرب إيل بين
١٥ ذمار على وتار بن كرب إيل

ملوك سبأ :

١ ذرح ذمار على
٢ سمهعلى ذرح
٣ كرب إيل بن سمهعلى
٤ اليشرح بن سمهعلى ذرح
٥ يدع إيل وتار

٦ يثعمر

٧ كرب إيل وتار

٨ يثعمر بين

٩ كرب ملك وتار

١٠ يدع إيل بين

١١ يريم أيمن

فهؤلاء المكارب والملوك إذا اعتبرنا تعاقبهم من الآباء إلى الأبناء ألفينا مدتهم لا تتجاوز ٢٣ جيلا بتقدير الجيل ٢٥ سنة . وإن هناك أجيالا لم يصل إلينا علمها ولم نعرفها ولا نبالغ إذا قدرنا سنى هذه الدولة بنحو ٧٠٠ سنة . وقد دقق قلازر فى تحقيق الزمن الذى انتقلت فيه الدولة إلى العصر الحميرى من مقابلة ما لديه من الأساطير المنشورة وغير المنشورة فترجح له أن دولة سبأ الحقيقية تنتهى سنة ١١٥ قبل الميلاد

وبها تبتدىء دولة حمير أى ملوك سبأ وريدان[1] . ولكن كل هذه الفرضيات نشك فيها ، لأن قلازر يظن أن دولة معين غير دولة سبأ فى الأصل واللغة ، وهذا وهم وقد تقدم . فتكون دولة سبأ أقدم مما ذكر بكثير وتكون اللغة والمصطلحات واحدة

سبب انقضاء دولة سبأ

أكبر الأسباب التى كانت العامل الوحيد فى انقضاء دولة سبأ تصدع سد مارب ، وذلك أنهم كفروا بنعمة الله تعالى فأرسل الله عليهم سيل العرم ، ومن ثم نزحت بعض القبائل إلى الشام والعراق كما هو المشهور

أما جرجى زيدان فلا يعد سيل العرم سبباً لسقوط دولة سبأ . قال :

ولا يعقل أن تعجز الدولة فى إبان سطوتها عن اتقاء مثل هذا السيل . وإذا تصدع

(١) العرب قبل الإسلام

السد فلا تعجز عن ترميمه . والغالب فى اعتقادنا أن دولة سبأ ذهبت تدريجاً بذهاب أسباب قوتها ، لأنها خلفت المعينيين فى نقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبحت فى القرون الأولى قبل الميلاد أكبر وسائل الاتصال بين تلك الأمم هناك . فكانت السلع والأطياب تأتى من الهند والحبشة إلى شواطىء جزيرة العرب فينقلها السبأيون على قوافلهم إلى مصر والشام والعراق ، ولم يكن عالم التجارة يستغنى عنهم ، فزهت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتدت سيادتهم إلى شواطىء الجزيرة شمالا وشرقاً واحتفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال إلى تربة خصبة وبنوا القصور والمحافد والهيا كل وتفننوا بتزيينها وزخرفتها وشادوا حولها الأسوار واغترسوا الحدائق حتى صارت البادية التى يهلك سالكها من العطش الآن حية آهلة عامرة ، وما زالوا فى عز وثروة . وإذا تصدع السدّ رمّموه حتى أخذت طرق التجارة تتحول عن البحر الأحمر فأخذوا فى الضعف

وكان أصحاب ريدان قد اشتد ساعدهم وهم من حمير فرع من السبأيين فغلبوهم على مدينتهم أو اتحدوا معهم دولة واحدة كان يقيم ملوكها تارة فى مارب وطوراً فى ريدان على التوالى . ثم اقتصروا على الإقامة فى ظفار ، وذلك دليل على أن لقب (ملك سبأ وريدان) حدث فى أواخر الدولة بعد أن وجهت عناياتها نحو الجنوب على أثر تداعى السد

وبالجملة كانت قصبة السبأيين قبل إنشاء دولتهم صرواح ، ورئيسهم يسمى ذو صرواح فلما أنشأوا الدولة بنوا مارب واسمها أيضاً سبأ فصار كبيرهم يسمى مكرب سبأ ، ثم صار ملك سبأ ، وهما الطوران الأول والثانى أو العصر السبأى الحقيقى . ثم صارت ألقابهم (ملك سبأ وريدان) ثم (ملك سبأ وريدان وحضرموت) وهو العصر الحميرى . اه

والذى يظهر من عبارة جرجى زيدان أنه لا يؤمن بالجوائح السماوية ، فهو يستبعد انفجار السد وتفرق أمة سبأ دفعة واحدة

ولكن أصدق الحديث كتاب الله

دولة حمير أو العصر الحميرى

قد تقدم أن العصر الحميرى يبدأ سنة ١١٥ قبل الميلاد كما قالوه ، وذلك بانتقال عاصمة السبأيين إلى ريدان (ظفار) . والحميريون فرع من السبأيين ، وحمير عند العرب ابن سبأ . ويؤيد ذلك أن اليونان لم يذكروا الحميريين فى كتبهم إلى سنة ٢٠ قبل الميلاد ، والظاهر أن الحميريين كانوا يقيمون فى ريدان قبل ذلك التاريخ بأجيال ، وهم أقيال أو أذواء ، وكبيرهم يسمى ذو ريدان حتى لقب كبيرهم ملك سبأ وذو ريدان ، ولما ملكوا حضرموت قيل ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت . وتختلف دولة حمير عن دولة سبأ بأنها أقرب منها إلى الدولة الفاتحة ، فقد نبغ من ملوكها قواد فتحوا الممالك وحاربوا الفرس وغيرهم ، وتنتهى دولة حمير بذى نواس سنة ٥٢٥ بعد الميلاد فكأنها حكمت ٦٤٠ سنة

وهى تقسم إلى مدتين متساويتين تقريباً ، فكان ملوكها فى المدة الأولى يلقبون ملك سبأ وريدان وهم ملوك الطبقة الأولى من حمير ، وتنتهى هذه المدة بضم حضرموت إلى ألقابهم ، وبضمها تبتدىء المدة الثانية واسم الملك فيها ملك سبـــأ وريدان وحضرموت وأصحابها ملوك الطبقة الثانية من حمير ، وأول من نال هذا اللقب شمر يرعش

بقى علينا النظر فيمن هو أول ملوك حمير ، ولا يمكننا الاعتماد على روايات العرب لاختلاطها وتخالفها ، ولا تدلنا الآثار على شىء صريح بهذا الشأن . فما علينا إلا الجنوح إلى الاستنتاج مما قرأناه من أسماء الملوك وأنسابهم وتواليهم وتخمين أزمنة حكمهم

ولا يخفى ما فى ذلك من أسباب الخطأ لأن كثيراً من تلك الأسماء لملوك تعاصروا وكانوا إخوة من أب واحد على ملوك الطبقة الأولى من حمير الذين عثر على أسمائهم فى الآثار المنقوشة وإن كانت أقل عدداً مما تقتضيه المدة التى قدروها لتلك الطبقة من دولة حمير ، فأضافوا اليها أسماء وجدوها على النقود وغيرها ، فاجتمع لديهم من ٣٠ إلى ٤٠ اسماً ، وفيهم كثيرون من المتعاصرين أو الإخوة وليس لأحدهم تاريخ مذكور يرجع اليه أو يقاس عليه . فرجع الباحثون إلى ما عرفه اليونان من ملوك هذه الدولة ومقارنتة بما وجدوه على

الآثار ، وقد فعل ذلك قلازر فى كتابه (الأحباش) فوجد مليكين ذكرهما بريبلوس فى أواسط القرن الأول للميلاد أحدهما اسمه كربابل ملك سبأ وريدان والآخر ابلباورس ملك حضرموت . ورأى من الجهة الأخرى أن بين أسماء ملوك هذه الطبقة ملكين أحدهما كراب بل والآخر اليفرو باليط فترجح له أنهما نفس الملكين اللذين ذكرهما بريبلوس وهما معاصران له أى من أهل أواسط القرن الأول للميلاد ، فجعل هذا التاريخ نقطة متوسطة يقاس عليها ويقابل بها ، فتوصل إلى تحقيق أزمنة عدة ملوك من الطبقة الأولى الحميرية فأضفناها إلى ما حققه فى جغرافيته ، ووصلنا بينهما بما استنتجناه . وهذا جدول يبين ملوك الطبقة الأولى من ملوك حمير ومدة الحكم :

اسم الملك	مدة الحكم	
	١١٥ ـ ٨٠	قبل الميلاد
علهفان نهفان[1]	٨٠ ـ ٥٠	»
يريم ايمن	٣٥ ـ ١٥	» ليس لهذا مدة
فرع ينهب	٣٥ ـ ١٥	»
اليشرح يحضب وابنه بين اليشرح	١٥ ـ ٥	»
يحضب يحمل بن يازل بين وتار	٥ ـ ٣٥	»
وتار	٣٥ ـ ٧٠	»
كرب إيل وتار يوهنعم	٧٠ ـ ٩٥	»
ذمار على ذرح بن كرب إيل	٩٥ ـ ١٢٠	»
هلك أمير بن كرب إيل	١٢٠ ـ ١٤٥	»
ذمار على بين	١٤٥ ـ ١٧٠	»
وهب إيل يحز	١٧٠ ـ ٢٥٠	»
ملوك مجهولون	٢٥٠ ـ ٢٧٥	»
ياسر انعم		

(١) وقد عثرت على ذلك فى مارب

ملوك الطبقة الثانية ـ أى ملوك سبأ وريدان وحضرموت ـ من سنة ٢٧٥ قبل الميلاد ، إلى سنة ٥٢٥ بعد الميلاد

اسم الملك	مدة الحكم	
شمر يرعش	٢٧٥ ـ ٣٠٠	ميلادية
ذو القرنين او افريقيس (الصعب)	٣٠٠ ـ ٣٢٠	«
عمرو زوج بلقيس	٣٢٠ ـ ٣٣٠	«
بلقيس و تسمى القارعة وهذا خطأ[1]	٣٣٠ ـ ٣٤٥	«
الهدهاد أخوها	٣٤٥ ـ ٣٧٤	«
ملكيكرب يوهنعم (ينعم)	٣٧٤ ـ ٣٨٥	«
أبو كرب أسعد بن ملكيكرب	٣٨٥ ـ ٤٢٠	«
حسان بن أسعد	٤٢٠ ـ ٤٢٥	«
شرحيل يعفر بن أسعد	٤٢٥ ـ ٤٥٥	«
شرحيل ينوف	٤٥٥ ـ ٤٧٠	«
معدى كرى ينعم وابنه	٤٧٠ ـ ٤٩٥	«
مرثد اللات ينوف	٤٩٥ ـ ٥١٥	«
ذو نواس	٥١٥ ـ ٥٢٥	«
ذو جدن (لم يكن له حكم)	٥٢٥ ـ ٥٣٣	«

فترى هذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه ، ولكنه أقرب إلى الصواب لأنه مبنى على التحقيق ومقابلة ما كتبه العرب واليونان وما نقش على الآثار اه العرب قبل الإسلام

---

(١) لأن بلقيس اتصلت بسليمان عليه السلام فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وعدها فى هذه الطبقة خطأ ظاهر

ونقول دائماً : إن الآثار التى عثر عليها علماء الغرب ليست وافية بحيث يطمأن اليها ، وإنها كما قد قدمنا ليست كما جرى فى مصر وغيرها تحت إشراف هيئات فنية ، وإنما هى أعمال فردية مبعثرة ، وان كانت قد فتحت الباب ولا تخلو عن فائدة

أعظم ملوك الطبقة الثانية كما سموهم أو التبابعة

الحرث الرائش

جاء فى كتاب التيجان لعبيد بن شرية أنه تولى الملك الحرث الرائش الأصغر وهو ذو مراثد ، وكانت تأتى الهدايا من الهند إلى التبابعة من أصناف الطيب والمسك والعنبر والزعفران والفلفل والجواهر والعقيق . وعندما أتت هذه الأنواع إلى الحرث تطلعت نفسه إلى غزو الهند فجند الجنود وجمع السفن ، وقد غزاها قبله ثلاثة من الملوك على البر من جبال حران وأرض التبت حتى وصلوا اليها وهم : عبد شمس ووائل بن حمير . ولكن الحرث غزاها عن طريق البحر وتقاتل مع أهلها فغلبهم وسبا السبايا ، وكان طريقه مدينة الصغد وهى سمرقند ، وخلف هناك يعفر بن عمرو فى إثنى عشر ألفاً فى مدينة بناهـا الرائش ذو مراثد (ومراثد معناه أيادى فى لغة حمير ، أو بمعنى نضد) وسماها على اسم الرائش فلم يقدر أهلها أن يقيموا اسمها فسموها الرائد فهى مدينتهم إلى اليوم وبها ملوكهم (انظر هذا البحث فى كتاب التيجان)

وعند رجوعه وصل إلى جبال خراسان فأتته الهدايا من أرمينية . وقد خلد آثاراً بالمسند فى أذربيجان ، كما يقال إن الرائش ذا مرثد بلغ من الدنيا أمله . ويقال فى هذه الأيام إنه وجدت آثار حميرية فى الهند وأن فيها وفى التبت قوماً من حمير . وقد بلغ هذا الملك درجة عظيمة ، وكان مثل أسلافه فى الفتوح فبلغ الصين ودوخ الفرس ورجع إلى الغرب فأثخن فى البلاد ، ووافته الاتاوة من الأقطار الكثيرة

وهو البانى لمدينة سمرقند ، وقد تحرفت عن اسمه ، وقد انتهى إلى نهر بلخ فثار فى

وجهه الأعاجم واشتد القتال بينه وبينهم فانتصر عليهم وأسر ملكهم وسجنه فى مارب إلى أن تشفعت له ابنته سعدى فأطلقه ، وفى هذا يقول نشوان الحميرى فى قصيدته المشهورة :

أم أين شمر يرعش الملك الذى ... ملك الورى بالعنف لا الاسجاح
قد كان يرعش من يراه هيبة ... ورمى اليه بطرفه اللماح
وبه سمرقند المشارق سميت ... لله من غاز ومن فتـــاح
وأتى بمالك فارس كيقاوس ... فى القيد يعثر مثخناً بجراح
وأقام فى بئر بمارب برهة ... فى السجن يجأر معلناً بصياح
فاستوهبت سعدى أباها ذنبه ... فعفا وسرحه بحسن سراح

ذو القرنين

أصدق وصف لذى القرنين ما جاء فى القرآن الكريم عند ما سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنه ، قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . إنا مكّنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً . فأتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً ، قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكرا . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً . ثم أتبع سببا . حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . آتونى زبر الحديد ، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ، حتى إذا جعله ناراً قال آتونى

أفرغ عليه قِطراً فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً . قال هذا رحمة من ربى . فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً ﴾

أما المؤرخون فقد اختلفوا : من هو ذو القرنين ؟ هل هو الاسكندر بن فليب اليونانى ، أم هو الحميرى ؟ فذهب جماعة إلى أنه الاسكندر المقدونى . ومن هؤلاء الطبرى والمسعودى وابن خلدون . ونستغرب لذلك إذ أن ذا القرنين هذا نبى أو ولى ، بينما المقدونى وثنى . فما الذى حملهم على هذا ؟ وأيضاً إن كلمة (ذو) عربية وهى من ألقاب ملوك اليمن وقبائلها إلى اليوم . وقرنين عربية كذلك . والمسلمون متفقون على أن ذا القرنين من الأربعة المختلف فيهم وهم عزير ولقمان والخضر وذو القرنين ، فمنهم من يقول إنهم أنبياء ، ومنهم من يقول إنهم أولياء

وبما أن وصف القرآن الكريم ينطبق على رجل عربى مؤمن ، فسنعرض تاريخ الاسكندر المقدونى لإزالة الإشكال ، فنقول : أجمعت تواريخ اليونان وغيرهم على أن فتوحات الاسكندر بن فليب المقدونى لم تصل إلى الصين ، وأنه مات حديث السن أى وعمره ٣٣ سنة لا غير ، وتولى الحكم بعد والده وهو فى سن العشرين ، وبقى فى الحكم ١٣ سنة . قال الأستاذ جويدى الإيطالى : وكانت أثينا ذات اقتدار فى البحر واسبرطة قديرة فى البر ، ثم ابتلى اليونان بعدئذ بالفتن والانقسام فكان ذلك أول أدلة هرم دولتهم ، كما قال ابن خلدون : إن أول ما يقع من آثار الهرم فى الدولة انقسامها . فانشقت عصاهم وتخاصموا خصومات أفضت إلى الضعف والوهن ، وذلك فى أيام فيلبس ملك مقدونيا — وهو أبو الاسكندر — فوحدهم فيلبس ، وأبدى الاسكندر وهو حديث السن مروءة وإقداماً ، وكان سبباً فى انتصار أبيه ، ولم يزل فيلبس يقمع ويقهر من استعصى عليه من أمم مملكته ويثبت أمورها حتى قتله مقدونى فمات

ثم ملك بعده ابنه الاسكندر ، وهو الملقب بالاسكندر ذى القرنين . ومن علماء العرب من لا يسلم بذلك ويرى أنه غيره . وزعم بعضهم أن ذا القرنين ملك قديم كان فى زمن

إبراهيم خليل الله . وزعم الآخرون أنه ملك من ملوك حمير . والأئمة الطبرى والمسعودى وغيرهما أنه الاسكندر المقدونى ، فبناء على ذلك نسبوا اليه الدخول فى أرض الظلمات (فى بلاد سبريا فى شمال آسيا) ، وفى عين الخلد ، ونسبوا اليه كذلك أمر يأجوج ومأجوج ، ونص على ذلك صاحب لسان العرب . واختلف فى سبب تلقيبه بذى القرنين . قيل لأنه ملك الشرق والغرب ، وقيل غير ذلك . والسبب الصحيح فى لقبه أن الاسكندر أمر بتصوير نفسه على النقود بصورة (آمون) إله من آلهته كما جرت العادة عند الفراعنة ، وصورة (آمون) هذا ذات قرنين ، فلذلك سمى الاسكندر ذا القرنين

فتوحات الاسكندر المقدونى

وصلت فتوحاته إلى حدود الهند بعد أن خضعت له إيران ، قال الأستاذ جويدى : ولما استقر ملك إيران للاسكندر أراد أن يقهر الأمم المجاورة لبلاد فارس من شمالها وشرقها ، وهى التى يقال لها طوران ، وقاسى فى هذا الغزو من المشقات والأنصاب مالا يوصف من تبرم الجند بالحرب وسأمها ، ثم رجع وقتل الملك فور صاحب الأفغان ، وبعد سنتين رجع أدراجه ولم يزل يرتب أمور المملكة ويبدع نظاماً جديداً فى جنده إلى أن وصل بابل

قيل إنه أضمر فى نفسه غزو المغرب ومحاربة الرومان . بيد أن داء أصابه لا دواء له مات به سنة ٣٣٣ قبل الميلاد وعمره ٣٣ سنة

أما قول ابن خلدون وغيره إنه مات فى سنة ٤٢ من عمره فغير صواب ، ولعله من أغلاط النساخ . انتصب ملكا وعمره ٢٠ سنة فمدة ملكه ١٣ سنة . ومن بعد موت الاسكندر نشبت الحرب بين قواده إذ أولع كل منهم بالرياسة والاستبداد بالملك ، وتمادت تلك المنازعة عشرين سنة ونيفاً ، ثم حدث بعدئذ فى إلبوس فى آسيا الصغرى أن انقسمت المملكة إلى ثلاثة أقسام كبار : فصارت مصر لبنى بطليموس ، والشام والشرق لبنى سلوقس ، ومقدونيا للكسندر

ولا ريب فى أن الاسكندر من أكبر ملوك الأرض وأجلهم ، إذ جمع بين شجاعة

النفس والفهم الثاقب والرأى السديد فأذل رقاب الجبابرة بعداً وقرباً ، ونظم ما اجتازه أحسن تنظيم وهذا مع حداثة سنه ، فانه تقلد الملك وعمره ٢٠ سنة كما تقدم ، فتعجب أهل عصره من اقتحامه الممالك ومن مآثره المدهشة التى أكبرها الناس بعد موته ، فزادوا على أخباره الصحيحة أخباراً عجيبة مستحيلة غلواً منهم ، شأنهم فى كل عظيم محبوب

فلهذا السبب كانت التآليف التى وضعت فى أخبار الاسكندر نوعين : نوع فيه الأخبار الصحيحة دون غيرها ، ونوع فيه صحيح الأخبار وسقيمها ، خصوصاً القصص المتعلقة بغزو الأمم الشمالية من طوران ودخوله أرض الظلمات

انتهى كلام السنيور جويدى الإيطالى . بقى علينا أن نعرف من هو ذو القرنين العبد الصالح الذى مدحه الله فى كتابه العزيز وأخبرنا أنه طاف مشارق الأرض ومغاربها ، وقد عرفنا مما مر أن الاسكندر المقدونى وثنى ، وفتوحاته محدودة بخلاف ما حكى الله فى القرآن الكريم . وقد كان ذو القرنين محل الخلاف بين العلماء للسبب الذى أوضحناه بأدلة المستشرق جويدى ، وأن الطائفة التى ذهبت إلى أنه المقدونى ليست على بينة من أمره ، فيكون ذو القرنين المذكور فى القرآن الكريم هو الحميرى

قال نشوان فى مادة قرن :

قِرْن فِعْل بكسر الفاء القِرْن المثل فى الشجاعة ، ويقال فلان قرن فلان والجمع الأقران

قال أسعد تبع :

قحطان أُسْدٌ سادة يمنية غُلُبٌ تهاب لقاءها الأقران

وقَرَن بفتح الفاء حى من اليمن من ولد قرن بن ردمان دخلوا فى ناحية مراد ، منهم أويس القَرَنى بن عمرو بن جزء بن مالك ، وكان من خيار التابعين

وفَعْل بفتح الفاء وسكون العين القرنان فى جانبى الرأس ، وذو القرنين ملك من ملوك لخم سمى بذلك لضفيرتين كانتا له . واختلف فى ذى القرنين السيار فقال قوم هو الاسكندر

وقال آخرون : هو الهميسع بن عمرو بن عَريب بن زيد بن كهلان . وعن على بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهما : ذو القرنين هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر

والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً   بالحنو فى جدث هنـاك مقيم

وقال آخرون :

ذو القرنين هو تبع الأقرن من ملوك حمير ، ولد وقرناه أشيبان فسمى بذلك الأقرن . وذو القرنين كان ملـكا مؤمناً عالماً عادلا قد ملك جميع الأرض وطافها ومات فى شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلا إذا انتهت الشمس إلى برج الجدى وقبره هناك ، وهو جد أسعد تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن ، وقد ذكره أسعد تبع فى شعره قال :

قد كان ذو القرنين جدّى قد أتى   طرف البلاد من المكان الأبعد
ملك المشارق والمغارب يبتغى   أسباب أمر من حكيم مرشد
فأتى مغار الشمس عند غروبها   فى عين ذى خلب وثأط حرمد
وبنى على يأجوج حين أتاهم   ردماً بناه بالحديد الموصـد
ودعا بقِطر قد أذيب فصبّـه   ما بينه فكذا بناء المخفـد

قال نشوان الحميرى : وهذا أصح الأقوال لموافقته اسم الأقرن لأنه يقال كبش ذو قرنين وكبش أقرن ، ومعناهما واحد . ولعلم الأقرن وإيمانه وحسن سيرته وشهادة أسعد تبع له بذلك مع قرب عهده به قال فيه بشير بن النعمان :

فمن ذا يفاخرنا من الناس معشر   كرام وذو القرنين منا وحاتم
ونحن بنينا سد يأجوج فاستوى   بأيماننا هل يهدم السد هادم

ويؤيد هذا كثير من الروايات المتداولة فى اليمن بشكل قصص حول دخول ذى القرنين إلى بلاد الظلمات . وقد سبق أن قلنا إن فى الصين آثاراً حميرية وقوماً من حمير ، والعلم الحديث سيحقق ذلك عند البحث عن الآثار

أما جرجى زيدان فقد تشكك فى هذه الروايات ، وحجته بعــــد المواصلات وصعوبتها ، غير أنه استثنى من ذلك بقوله : « ولكن لا يستبعد هذا ، فقد رأينا من همة العرب وفتوحاتها فى صدر الاسلام ما يدهش ، فبلغوا الشرق والغرب فى مدة قصيرة »

ومعلوم أن المواصلات لم تتحسن ، وبقيت كما هى ، وسلكها العرب عند الفتح . وكذلك المغول الذين جاءوا من أطواف الصين

تمدن اليمن القديم

قد علمنا من الأبحاث السابقة أن العرب أسبق الأمم إلى التمدن ، وقد كان اليمن مهد الأقوام السامية الذين منهم العرب و نبتت حضارتهم فى مصر والشام والعراق ، فاليمانيون أول من أسس الدول وشاد القصور وبنى المدن والهياكل والأسداد ونظم الحكم ودرب الجيش . وقد ترك اليمانيون آثاراً تدل على عظمة ذلك التمدن ، وكانت لهم نظم فى غاية الدقة وإن لم يصل الينا منها شىء سوى ما قصه الله العليم عن شورى بلقيس : ﴿ ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد . والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين ﴾ وكان الملك وراثياً ينتقل إلى الأكبر سناً فى العائلة المالكة ، وقد ينتقل إلى الإناث إذا لم يكن ثم ذكور . وكان نظام المملكة مرتباً على أحسن ما يكون ، فالأقيال وهم زعماء البلاد كانوا يتمتعون بسلطة واسعة فى إدارة مناطقهم ، وكان مرجعهم فى الأمور الهامة إلى الزعيم الأعلى وهو الملك

ومن ملوك اليمن من كان يسمى تبعاً إذا حكمت من تحته ملوك آخرون ، كما يلقب فى الوقت الحاضر (الامبراطور) . وكان الملك يقيم فى مارب أو فى معين ، ثم تحولت الملوك من سبأ بعد سيل العرم إلى ظفار وريدان . أما مقر رجال الدولة فكان بين عشائرهم مثل ناعط وبينون وغيمان وغيرها . وكان الملك يلبس البرود والمآزر الموشاة بالذهب ، ويضع على رأسه التاج المصنوع من الذهب ، ويجلس على العرش المزين بالجواهر والأحجـــار الكريمة مما يندر وجود أمثاله

قال هدهد سليمان عليه السلام ﴿ وأوتيتْ من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ وكان ينتقل الملك على المركبات تجرها الخيل أو الفيلة تحف به الرجال من الجنود وهم يتغنون باطرائه كما هي عادة ملوك اليمن إلى اليوم . وقد ذكر ثيوفانس خبر الوفد الذى أرسله يوستين قيصر القسطنطينية فى أوائل القرن السادس للميلاد إلى ملك حمير ، وكان رئيس الوفد اسمه يوليانوس

قال : إنه رأى الملك واقفاً على مركبة تجرها أربعة أفيال وعليه من الألبسة مئزر محوك بالذهب وأساور ثمينة فى ذراعه وبيده ترس ورمحان وحوله رجال من حاشيته يتغنون باطرائه وتفخيمه[1] وكثيراً ما يصحب الملك جندهُ فى الحروب كما فعل تبان أسعد وغيره عندما وصل إلى يثرب ، وهو كما يقال أول من كسا البيت الحرام وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمر بتطهيره وألا يقربوه بدم ولا ميتة ، وجعل له باباً ومفتاحاً . ثم انصرف إلى اليمن . وقيل إنه أول من أدخل دين موسى عليه السلام فى قصة مشهورة بخروج الحبرين وجميع اليهود فى اليمن من نسلهما لا غير وعددهم حوالى خمسين ألفاً . وقد من الله على اليمن بجلائهم فى عهد الملك الميمون الناصر للدين أحمد بن يحيى حميد الدين أيده الله

الصناعة

اليمن منذ القدم بلد صناعى فاقت مصنوعاته على سائر الأقطار ، فقد اشتهر بصنع الأوانى النحاسية والذهبية ، وكذلك صنع التماثيل البشرية والحيوانية ، وكانت بعض المدن خاصة بالصناعة التى تميزها عن غيرها . فمدينة سبأ كانت تصنع فيها المـآزر المحوكة بالذهب ، وكذلك كانت تصنع فيها الأقمشة الحريرية والصوفية وغيرها من المنسوجات

وكانت مدينة صعدة خاصة باستخراج الحديد وصناعته ، ولا تزال إلى الآن كما كانت أهم مدابغ الجلود فيها . ناهيك عن المصانع الأخرى المنتشرة فى عدة أماكن . وقد تفننوا

---

(١) العرب قبل الإسلام ، وهذا هو الزامل

فى صنع الأسلحة على اختلاف أنواعها كالسيوف والرماح والخناجر والتروس والخوذ والدروع . ولا نشك فى أنهم قد استعملوا الآلات البسيطة كالعتلة والبكرات . ويظهر من بعض الآثار أنهم أوجدوا ما يقارب السمنت الحاضر ويسمى عندنا بالقضاض وهو أطول عمراً حيث يعمر ثلاثمائة أو أربعمائة سنة ، وهو مستعمل إلى الآن . كما أنهم استعملوا الساعات المائية (القطارة) وبرعوا فى صناعة الأحجار الكريمة

أما الطنافس والآنية البيتية فقد فاقت حد التصديق حيث كان السبأيون يكثرون من استعمال الأوعية الذهبية والفضية حتى زينوا بها جدران المنازل ، وكانوا يبالغون فى زينة القصور كما وجد لديهم الأسرة والموائد الفضية . وكانوا يستعملون على أفاريز القصور صفائح الذهب المرصعة بالجواهر . وكذلك النقود وعليها صورة الملك أو صور بعض الطيور . وصناعة التماثيل من البرونز فى غاية الاتقان . وهناك نماذج بعض المصنوعات . وقد رأيت كثيراً من هذا من البرونز وغيره ، وما نشاهده من الصور المنقوشة على قطع الأحجار الكريمة كالعقيق والياقوت يدل على رقى الصناعة فى ذلك الحين

المعادن

اليمن مشهور فى التاريخ القديم بوفرة معادنه ، ولهذا استخدم اليمانيون هذه المعادن فى أغراضهم الصناعية على اختلاف أنواعها وكان لليمانيين خبرة بالتعدين ، ولا يزال استخراج الحديد فى مدينة صعدة إلى اليوم . وقد وصف المؤرخون معادن جزيرة العرب حتى مثلها بعضهم بكلفورنيا فى الوقت الحاضر . وقد ألفت كتب فى معادن البلاد العربية وبالخاصة ذهبها وذكروا مناجمها . وقد تكلم الهمدانى فى صفة جزيرة العرب وياقوت فى معجم البلدان وغيرهما كثيراً عن مناجم الذهب بعضها فى اليمن والبعض الآخر فى اليمامة وغيرها . ناهيك بذهب خولان الوارد ذكره فى التوراة باسم حويلة

والحديد مبذول فى أكثر جبال اليمن ، وعندما اشتغلت فى مختبر صنعاء بالتحليل

وجدت أكثر الأحجار الآتية من محلات مختلفة تحتوى على الحديد بنسب كبيرة بلغت فى بعض النواحى إلى تسعين فى المائة تقريباً ، وبقية الأحجار لا تقل عن ستين

قال الهمدانى فى صفة جزيرة العرب : وباليمن فصوص البقران ويبلغ المثلث مالا كثيراً ، وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود ، والبقران ألوان ومعدنه بجبل آنس والسعوانية ، وهو فص أسود فوق عرق أبيض ، ومعدنه بشهارة وعبشان من بلد حاشد إلى جنب هنوم وظليمة والجش من شرق همدان . والعشارى وهو الحجر السماوى من عشار بالقرب من صنعا . ويوجد البلور فى مواضع منها وهو الذى يعمل منه نصب السكاكين . وكذلك العقيق الأحمر والأصفر ويعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن ، وليس سواه إلا بالهند ، والهندى بعرق واحد . ومن الخبراء الحديثين من أثبت بعد الكشف والدرس وجود معادن أخرى مثل الجرافيت والميكة . وقد عثرت عليهما بنفسى والموليديت والهماتيت ، كما يوجد الزنك أيضاً . أما الرخام والجص والمرمر فكثير . هذا وإذا علمنا أن جبال اليمن بركانية خامدة تصورنا الثروة المعدنية المخزونة فى جوفها

الزراعة

اليمن قطر زراعى أخذ شهرة واسعة النطاق فى العصور القديمة ، ولهذا سمى تارة باليمن الخضراء وتارة باليمن السعيدة . وقد ساعد على ذلك تعدد المناطق والنشاط الزراعى الذى يفوق الوصف ، حيث تساق الأتربة إلى المحلات المناسبة كالمحلات الجبلية ثم تدرج الجبال وتقسم إلى حقول صالحة للزرع . ومن يشاهد هذه الجبال يدهش لعناية الفلاح اليمانى . ولا تنحصر الأعمال الزراعية فى إعداد التجربة فحسب ، بل هناك مكافحة عجيبة فى إبادة الأعشاب والحشرات الضارة وانتخاب البذور بالطريقة الطبيعية واستعمال الدورة الزراعية . وللفلاح اليمانى خبرة واسعة بمواسم الزراعة يعرفها كل واحد بالتوارث ويستدلون على ذلك بنجوم خاصة يراقبونها فى أوقات معلومة

قال العلامة طه الهاشمى فى (جغرافية البلاد العربية) : « اليمن قطر زراعى ، وأهله زراع بالطبع . ومع أن الزراعة فى المنطقة الجبلية شاقة إلا أن الناس أقبلوا على الزراعة إقبالا عظيما ، ذلك لأنها مدار معيشتهم وسبب رزقهم . والواقع أن قطر اليمن من الأقطار التى تسد محصولاتها حاجاتها ، فلا تحتاج إلى الخارج إلا فى بعض مواد لا يمكن اقتناؤها فى الداخل . فتنبت الحبوب والبقول جميعها فى اليمن ، وكذلك أشجار الفاكهة ، والعسل يقوم مقام السكر فضلا عن أن زيت السمسم يستعمل فى الضوء بدلا عن النفط ، ويستعمل القطن ويغزل وتصنع منه الأقمشة المجالس والأثاث . وأينما وليت وجهك رأيت المزارع منتشرة فى الوديان وعلى سفوح الجبال والذرى وفى السهول . ومما يدل على اعتناء القوم بالزراعة أنهم يهيئون المزارع الصناعية فى السفوح المنحدرة الصخرية برفع الأحجار منها وإكساء الأرض بالتراب من أسفل الوادى ، فتصبح تلك السفوح ضيقة طويلة مهيأة للزراعة .

وهذه المزارع المدرجة المنتشرة فى جميع الأنحاء الجبلية لا تخلو منها منطقة . وفى الهضبات تنتشر المزارع فى ضواحى القصبات والقرى . وفى تهامة تزرع الأرض الواقعة على جوانب الوديان للاستفادة من مياه السيول عند نزول الأمطار ، وتحمل السيول تربة غرينية فترسب فى الوديان وعلى جوانبها فيحرث الناس تلك الأرض ويهيئون منها حقولا للزرع ، ويحيطون كل مزرعة بأكوام التراب . وعند جريان السيول يصرفون مياهها إلى تلك المزارع بالسواقى[1] »

ويوجد فى اليمن أنواع العنب الجيد ، وتقدر بعشرين نوعاً ، وكذلك نباتات الأصباغ المستعملة إلى الآن مثل النيلة والعصفر والحناء والمواد الدابغة كالقرظ . وكذلك يوجد الكمون والأنسون والزنجبيل واللبان والمر والمصطكى والورس والصمغ وغير ذلك . وهذا هو السبب فى جعل اليمن من قديم الزمان مشهوراً بما يصدره إلى الخارج

(١) جغرافية البلاد العربية لطه الهاشمى

والزراعة مستمرة طول السنة ، ففى المكان الواحد ترى مزارع قد آن حصادها ، وأخرى تزرع حديثاً ، وأخرى فى أول نمو الزرع ، وبجانب ذلك مزارع تحرث وتهيأ للزرع ، فكأن المزرعة معمل مستعد للانماء فى كل وقت ، كما قال بعض الزراعيين الذين وصلوا إلى اليمن . وفى تهامة والجوف وبعض المناطق تغل البذرة الواحدة ثلاث مرات والرابعة علف ، وبعضها مرتين والثالثة علف . ناهيك بالبن المشهور فى العالم ، قال الله تعالى ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾

التجارة

إن توسط اليمن بين أمم العالم القديم جعله واسطة التجارة بينها من أقدم أزمنة التاريخ ، فكان بين الهند واليمن علاقات تجارية لا يعرف أولها ، وكان للهند محصولات ومعمولات يحتاج اليها المصريون والآشوريون والفينيقيون وغيرهم ، فكان اليمانيون ينقلون هذه المحتاجات إلى تلك الأمم فى السفن البحرية والقوافل البرية ، وكان لهم على الشواطىء موانىء متعددة ، وكان لهم فرضة اسمها (موزع) تصنع فيها السفن الكبرى لقطع الاوقيانوس الهندى ، ولهذا السبب عمرت جزيرة سومطرة يومئذ لتوسطها فى طريق تلك التجارة ، كما عمرت مالطة فى الوقت الحاضر . ومن المدن المشهورة فى ذلك الوقت فى اليمن (عدن) و (حصن غراب) و (ظفار) و (مسقط) . ويغلب فى مسقط أن ترسو عندها السفن الصاعدة فى خليج فارس إلى بابل ، وكانت تحمل الذهب والقصدير والأحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والأفاويه كالبهار والفلفل والقطن وأنواع الطيوب التى أخذت شهرة واسعة ولا توجد إلا فى اليمن كالبخور واللبان وسائر الروائح . وقد قيل إن شذى رائحة بلاد العرب يفوح من مسافات بعيدة . وكان اليمن يمون الهيا كل بالأطياب لضرورة استعمالها بسبب كثرة الروائح الناتجة فى تقديم القرابين التى كانت تذبح فيها

ولما كان لليمن أسطول قوى أمكنهم الاتصال بأقصى الشرق والغرب ، فيجلبون ما رخص لهم ودعت الحاجة اليه . وقد برعوا فى فن الملاحة وأخرجوا الاتجاهات بواسطة

الشمس والكواكب ، وكانوا سابقين لغيرهم فقد ضربوا بأساطيلهم عرض البحار وطولها ، فكانوا بحق سادة البحار وتجار العالم

قال المسيو جيان « قبض العرب منذ عصور واغلة فى القدم على زمام التجارة البحرية فى الشرق ، فكانت سفنهم هى الوحيدة التى تمخر عباب المحيط الهندى ، ولا سيما فيما بين بلادهم والهند التى كان لهم جالية كبيرة فى سواحلها قرب نهر الهندوس وهى التى أسماها الهنود (عربيته) . ولما أرسل الاسكندر المقدونى قائد أسطوله لاكتشاف بحر الهند وجد بسواحل (جدروزيا) آثارا دالة على نفوذ العرب من مدن عربية وأساطيل عربية ، بل طرقت سمعه هناك ألفاظ عربية[1]

ويقول المؤرخ الرومانى (بلينيوس) إن التبابعة ملوك اليمن عرفوا جميع ممالك إفريقية الشرقية وجزرها ، وكان لهم عليها شىء من السلطة ، وكانوا يتجرون مع أهلها بالأفاويه والطيوب وغيرها

وقد حرّموا على عامتهم الاتجار بهذه الأصناف لئلا يغشوها أو يبيعوا سرها لليونان والرومان على زعمهم[2]

وكانوا ينقلون تجارتهم إلى مصر والعراق وأرمينية وشواطى البحر الأبيض المتوسط إما بحراً عن طريق البحر الأحمر والخليج الفارسى . أو براً بواسطة القوافل . ولهذا عمرت مرافئهم ومحطاتهم التجارية ، وكان أعظم موانيهم شهرة عدن وقرنا (حصن غراب) وعُمان وظَفار وتيماء فى الشمال وغزّة المطلة على البحر الأبيض المتوسط . وكانوا ينقلون تجارة مصر بواسطة أرينوت وبيوس وهرموس وهى الموانىء المصرية القديمة فى الشاطىء الغربى للبحر الأحمر

وقد بقيت تجارة اليمانيين واسعة النطاق رائجة الأسواق إلى أن آذنت شمس دولتهم

---

(١) كتاب المسيو جيان (وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية)
(٢) مجلة المقتطف ، وكتاب الرواد ص ٩٢

بالمغيب ، وامتدت سلطة منافسيهم من الرومان على البحار . ومن المعلوم أن الربع الخالى كان عامراً تسلكه القوافل التجارية وتقطع الصحراء الواسعة حتى تصل إلى نجد والعراق والشام . قال الله تعالى فى سورة سبأ : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالىَ وأياماً آمنين ﴾ وقد فسر الجلالين القرى المباركة بقرى الشام ، والقرى الظاهرة فى اليمن إلى الشام وبذلك كانت البلاد العربية مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً بسبب طرق المواصلات

الحضارة والبنيان

أهل اليمن متحضرون من أقدم الأزمان ، وقد ساعدهم على ذلك ثروة اليمن العظيمة وموقعه الجغرافى والنشاط الزراعى والصناعى والتجارى كما مر ، لهذا السبب بالغوا فى زينة البيوت وتنافسوا فى تشييد القصور حتى ضرب بها المثل . ولهم من الزينة ما يفوق الوصف ، فقد لبسوا الخز وافترشوا الحرير واقتنوا آنية الذهب والفضة وغرسوا الحدائق والبساتين الواسعة ونظموها أحسن تنظيم : قال (اغا ترسيدس) وللسبأيين فى منازلهم ما يفوق التصديق من الآنية والأوعية على اختلاف أشكالها من الذهب والفضة ، وعندهم الأسرة والموائد الفضية والرياش من أفخر الأنسجة وأغلاها ، قصورهم قائمة على الأساطين المحلاة بالذهب أو المنزلة بالفضة ، يعلقون على أفاريز منازلهم وأبوابها صحائف الذهب مرصعة بالجوهر ، ويبذلون فى تزيين قصورهم أموالا طائلة لكثرة ما يدخلونه فى زينتها من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة وغيرها من المواد الثمينة[1]

آثار اليمن الشهيرة وقصورها

ليس فى استطاعتنا أن نحصى مآثر اليمن وقصورها وهى كثيرة ، غير أننا سنلم بها إلماماً ، ونأتى على أشهر القصور والآثار التى أثارت إعجاب المؤرخين ، وجعلت المتأخرين من علماء

---

(١) العرب قبل الإسلام

الآثار يضحون فى سبيل كشفها ومشاهدتها أثمن شىء وهو حياتهم كما سبق . وأخيراً اعترفوا بعظم المدنية اليمانية وقدمها

قصر غمدان

اختلف المؤرخون فى زمن بنائه ومَن الذى بناه من الملوك ، فذكرت طائفة منهم أنه سام بن نوح وآخرون على أنه غيره . ومهما يكن من الاختلاف فى زمن بنائه وبانيه فقد كان أعجوبة من أعاجيب الفن والمدنية ، إذ بلغ من الإتقان ودقة هندسة البناء ما جعله يفوق الوصف

قال الهمدانى وياقوت : إن البانى له اليشرح يحصب ، ولعل هذا قريب من الحقيقة لخبرة الهمدانى وصدق ملاحظته . ولكن الذى يظهر أن بناءه كان تدريجاً ، لأن الملوك كانوا يتخذونه مقراً لهم ، وكان كل ملك يزيد فى بنائه طبقة أو أكثر إلى أن بلغ عشرين سقفاً كل سقف نحو عشرة أذرع . وكان كل وجه منه مبنياً بلون خاص من ألوان الحجارة كالأسود والأحمر والأخضر . الخ

وكان فى كل ركن من أركانه تمثال أسد من النحاس مجوف وفى جوفه حركات مدبرة ، فإذا هبت الريح فدخلت أجواف هذه التماثيل سمع لها زئير كزئير الأسد . وكان أعلاه غرفة كلها من الرخام ، وقد أطبق سقفها برخامة واحدة ، إذا استلقى الرجل فيها ميز الحدأة من الغراب من خلفها . وقد وضع فى أعلاها مصابيح ، فاذا أقبل الليل أسرجت فيشاهد بريقها إلى مسافات بعيدة . وكان فيها ستور فيها أجراس إذا حركت أو ضربت الرياح تلك الستور فتسمع لها أصوات من تلك الأجراس

وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب ، وعند كل باب تمثال من النحاس إذا هبت الريح سمع لها أصوات . وكان فيه ساعة مائية (قطاوة) ، وقد وضعت له صهاريج فى أسفله لحفظ المياه . وكان بناؤه فى صنعاء ، وقد بقى إلى زمن عثمان بن عفان وهو الذى أمر بخرابه ، ولا يزال موضعه مرتفعاً كالجبل مما يدل على أن أسسه باقية ، وتقدر

مسافة القصر بـ ٤٠٠٠٠ متر مربع أو تزيد . وقد شاهده الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى ووصف ما بقى منه بعد خرابه . وقد استعملت أحجاره لبناء الجامع الكبير لقربه منه ، وموقعه الآن هو أكمة سوق القضب ، وأطرافه ممتدة إلى مسافات بعيدة إلى داود وإلى عقيل والزمر ونهاية الجامع الكبير

وجاء فى الجزء الثامن من الاكليل : « إذا طلعت الشمس أصاب ظله جبل عيبان » وقال : لما فرغ أبو يشرح من بنائه قال فيه شعراً لم يحفظ منه إلا هذا البيت :

إنى أنا القيل أبو شرح حصنك غمدان بمهمات

ويقال إن غمدان أول قصر بنى باليمن ، ووجد فيه حجر فى بعض زواياه مكتوب بالمسند « بناه غمدان » . أما زينته فهى كسائر قصور اليمن ، قال الهمدانى :

من بعد غمدان المنيف وأهله وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو إلى كبد السماء مصعِّدا عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصَّب بعمامة ومن الرخام منطَّق ومؤزَّر
متلاحكا بالقطر منه حجرة والجزع بين جروفها والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمنــاً فى صدره قطارة لحساب أجزاء الزمان تقطر
والطير واقفة عليه وفودها ومياهه قنواتها تتهــدر
ينبوع عين لا يصرد شربها وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامـــة مبهومة فتى ترد أربابه مــدخوله لم يعسر[١]

وقال علقمة :

مصابيح السليط يلحن فيه إذا يمسي كتوماض البروق

---

(١) الجزء الثامن من الاكليل

وقال :

فذاك غمدان محزئلا[1] كأنه جبـل منيف
يسكنه ماجـد أبيّ ترغم قـدامه الأنوف

قصور ظفار المعروفة بحقل يحصب

قال الهمدانى : كان بظفار أقصر ، منها قصر ذى يزن وهو الذى يقول فيه علقمة :

ومصنعة بذى ريدان أمست بأعلا فرع متلفة خلوق

وقال تبع :

ظفرنا بمنزلنا فى ظفا ر وما زال ساكنها يظفر

وقصر ريدان قصر المملكة بظفار . وقصر شوحطان الذى يقول فيه علقمة :

ومثلك شوحطان له قريم

أى نقوش . والقريم منه القرام والمقرمه لنقشها وتحسنها

وقصور كوكبان وانه كان مؤزراً من الخارج بالفضة وما فوقها أحجار بيض . وداخله منطق بالعود والعسيف والجزع وصنوف الجواهر . ويقال ان الجن بنته . وقد أكثر الناس فى بناء الجن ، وما ذلك إلا زيادات من الناس فى الأحاديث (الجزء الثامن من الاكليل) . وهكذا كلما وجد بناء عجيب قالوا إن الجن بنته ، وما ذلك إلا لقصر الهمم وابتعادنا عن أسلافنا فى الجد وسائر الأعمال

وجاء فى الاكليل أن ظفار بسند جبل بأعلى قتاب بالقرب من مدينة السخطيين . قال أبو نصر : وكان لظفار تسعة أبواب : باب ولاء ، وباب الأسلاف ، وباب خرفة ، وباب مأنة ، وباب هدوان ، وباب خبان ، وباب حورة ، وباب صعد ، وباب الحقل . وأن المسافة بين هذه الأبواب تبعد عن مدينة ظفار مسافة ثلاث ساعات وأكثر وأقل . وهذه المنطقة

---

(١) من احزأل الجبل إذا ارتفع فوق السحاب

تحتوى على مائة قرية من جملتها مدينة يريم فان باب الاسلاف شمال يريم على مسافة ساعة ، قال هذا علامة اليمن المؤرخ الشهير القاضى محمد الحجرى . وذكروا أن على هذه الأبواب أوهاز وهم الحجاب ، ولا يدخل أحد إلى الحقل إلا بإذن من أولئك الأوهاز

وكان للباب معاهر ، وهى الأجراس ، فاذا فتح أو أغلق الباب سمعت أصوات تلك المعاهر من مكان بعيد . وكان باب ظفار الذى يكون منه الإذن على الملك بينه و بينها على قدر ميل وكان دون ذلك الباب واهزان ، و بينهما (باب على) . وكانا يسكنان الناس إعظاماً للآذن ، وكان من كاتب الاذن إلى المدينة سلسلة من ذهب يحركها واهزا الآذن إذا قدم عليهما شريف من أشراف الناس يريد الملك ، فيكتب واهز المدينة اليوم الذى حركت فيه السلسلة يوم كذا وكذا

فيرفعه ذلك الواهز إلى واهز القصر فيرفع ذلك إلى الملك . ويقولون : ان تبع قال قصيدة مشهورة منها هذا البيت :

قد دعتنى نفسى أن أنطح الصـــين بخيل أقودها من ظفار

وظفار تبعد عن يريم مسافة قصيرة ، ولا تزال بها الآثار . وقد أخبرنى بعض رجال اليمن أنه كان فيها سوق منحوت داخل الجبل تتوزع فيه سواقى السليط إلى كل حانوت (دكان) وكان يسمى هذا السوق (سوق الليل) . وقد اشتهر اليمانيون بنحت الجبال وفتح الأنفاق . ونفق عدن وبينون مثال على ذلك

ناعـــط

قال الهمدانى : قد نظرت بقايا آثار اليمن وقصورها سوى غمدان فانه لم يبق منه سوى قطعة من أسفل جدار ، فلم أر مثل ناعط ومارب وخمر . ولناعط الفضل ، وهى مصنعة بيضاء مدورة منقطعة فى رأس جبل تلين وهو أحد جبال البون وهو جبل مرتفع مقابل لجبل تلقم ، وهو جبل فى سرة همدان وهى (ريدة) مسكن الهمدانى ، فمن قصور ناعط

قصر المملكة الكبير الذى يسمى (يعرق) ومنها قصر ذى لعوة المكعب وذلك بكعاب خارجة فى مغارب حجارته على هيئة الدرق الصغار

قال : وذرعت فى مغرب منه سبعة أذرع إلا ثلثاً بالذراع التامة . وبها سوى هذين القصرين ما يزيد على عشرين قصراً كباراً سوى أماكن الحاشية . وكان عليها سور ملاحك بالصخر المنحوت . وما فيها قصر إلا وتحته كريف الماء مجوف فى الصفا مصهرج ، فما ينزل من السطح ابتلعه

وفيها من الاسطوانات العظيات طول كل واحد نيف وعشرون ذراعاً ، ومحيطها أربعة أذرع ، وفى هذه الاسطوانات بقايا مسامير حديد قيل إنها كانت مراقى إلى رءوسها وأنه يثقب عليها الشمع إذا أرادوا الصرخة فتنظر الناس من جبل سفيان ومن جبل حضور وجبل ذخار وظاهر حرقان ، وفى ذلك يقول الهمدانى قصيدته المشهورة :

ألم تر أن الدهر زلزل ناعطـاً	فأصبح مسحول التراب وساقطا
يكبكب بعد الشيد سبعين بسطة	لأذقانه عن طفة النبو هابطا
تعاوره صرف الزمان فلم يدع	من الشيد إلا أسطواناً وحائطا
يطول بنـاء الغابرين وإن علا	كما طُلت إمّا قمت من كان لائطا
فمن يك ذا جهل بأيام حمير	وآثارهم فى الأرض فليأت ناعطا
يجد عمداً تعلو القنا مرمرية	وكرسى رخام حوله وبلائطا
على كرف من تحتها ومصـانع	لهـا بسقوف السطح لبا ونائطا
كأن رفعت عنها البناة أكفها	بأول يوم قبل أمسك فارطا
ترى كل تمثال عليها وصورة	سباعاً ووحشاً فى الصفاح خلائطا
بجانب ما تنفك تنظر قابضاً	لإحدى يديه فى الحبال وباسطا
ومستنعات من عقاب وأجدل	على أرنب دهم وأفراخ قامطا
وسرب ظباء قد نهلن بمخنق	وغضف ضراء قد تطلقن باسطا

وذا عقدة بين الجيـاد موا كباً وسامى مهاد للركاب مواخطا

وكان به رقشان تحمى جنابه له أرض مصر والفرات فسالطا

فلم ينجه من حادث الموت حصنه ولا مقربات كن فيه ربائطا

وكان اليه الوفد تترى نقيرة من الأرض جماً ذا ارتقاب وخالطا

تخال حباك الفلك فى طرقاته إذا طلبت نحو الشراع البواسطا

محـافد كانت للملوك محلة ولم تخو حيناً بالعطيف وقاسطا

ولم توق ساوياً ورب هجيمة ولا ذا وطاب يسلق الشمس آقطا

فأصبح مسلوب العصارة خاوياً وأى وشاح لا يصادف كاشطا

فلا من أجال الطرف ينظر غادياً ولا من أصاخ السمع يسمع لاغطا

ومازال صرف الدهر فى كل ما أرى وأسمعه للخير والشر سـامطا

وأى امرئ يرضى عن الدهر يومه فأصبح إلا مظهر العيب ساخطا

ولو أن أسبابَ الردى هاب معشر لهاب بنى الصوار حضراً وشاحطا

أولئك كانوا للبرية كلهـا نظاماً وما بين النظيمة واسطا

وقال علقمة بن ذى جدن :

ولميس كانت فى ذؤابة ناعـط يجىء اليها الخرج صاحب بربره

وقال مرقش :

وملوك ناعط قد رأيت مكانهم طرقوا بقاصمة الظهور رداح

مارب وقصورهـا

قال الله تعالى ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ وكان فيها عدة قصور : منها القشيب وسلحين والهجر ، وهى تبعد عن صنعاء مسافة ٤ أيام فى الجهة الشرقية . وفيها من الآثار ما يفوق الوصف .

قال الهمدانى :

وجنتا مأرب من بعد ذا مثل ... والعرش منها وسدّ وسط واديها
ما بين طودين لا باد ولا كثب ... وجرية السد طول الدهر يسقيها
كأنها حين تهوى من مشاعبها ... كواهل الدهر إذ دنت هواديها
وتارة إذا تعالى الماء غاربه ... جدر مجصصة مالت سواريها
تسقى به جنتـــاها ثم بعدهما ... مسافة الخمس موصولا لياليها
تغدو النواصب بالأطباق تملأها ... من كل فاكهة بالكف تجنيها
وليس يمنع نفساً أن توافيهـا ... منها عجائبهـــا إلا تمنيها
وعرشها شاهق من فوق أعمدة ... من الرخام سواقيهـا تحاذيها
حروفها لنواحى البئر مرهفة ... إذا العيون بطول السجل تمهيها
فلو يقابل منهـا حرفها دقلا ... أو لينة كان ذاك الحرف يثريها
ولن يحيط بإحداهن ما قدرت ... حضناً بليغاً طويل الباع يحويها
فى طول عشرين بعد العرض كاملة ... من بعد خمس حسيباً فى كراسيها
وفوقها مثلها والعرش منتصب ... من فوقها وخرير الريح يدويها
ورأسها قبة كالنجم بيضتهـا ... من علوها قد يكاد الغيم يخفيها
متى تظل بها أملاك ذى يمن ... تظل مخترق الأرواح يلهيها

وقال علقمة بن ذى جدن :

ومنا الذى دانت له الأرض كلها ... بمارب يبنى بالرخام ديارا

قال الهمدانى :

وأعمدة العرش السفلى قيام إلى اليوم ، لو اجتمع جيل على أن يصرعوا واحدة منها لم يقدروا ، لأن كل عمود منها له ثقب فى الصفا ثم ألقم أسفله وصب بينهما القِطر . ويسمى قصر بلقيس سلحين

قال علقمة :

لو رأيت القشيب بعد بهاء   خاوياً هد بعضه فوق بعض
وأقاويل مــارب قد تولوا   بعد عقد الأمور منهم ونقض

وقال :

أبعد غمدان[1] حين أمسى   يسفى به المــور والرياح
يا عين سلحين فاندبيـــه   إذ هاض من أهله الجَناح

وقال :

وقصر سلحين قد عفـــاه   ريب الزمان الذى يريب
تعوى الثعالب فى قراهـا   ما فى مساكنها عَريب

وقال :

أولا ترين وكل شىء للبلىٰ   سلحين خاوية كأن لم تعمر

وقال :

ومــارب قد نطقت بالرخا   م وفى سفحها الذهب الأحمر

وقال تبع يصف مأرب :

أولدتنى من الملوك ملوك   كل قيل متوج صنــــديد
ونسـاء متوجات كبلقيـــس   وشمس أكرم بها من جدود
ملـكتهم بلقيس ثمانين عاماً   بأولى قوة وبأس شـديد
عرشها شرجع ثمانون باعاً   كللته بجـــوهر وفريد
وبدرّ قد قيــدته وياقو   ت وبالتبر أيمـا تقييـد
فلو ان الخلود كان لحىّ   باحتيـال أو قوة أو عديد

---

(١) يقصد غمدان مارب

أو بملك لما هلكنا وكنا من جميع الأنام أهل الخلود

وقال محمد بن خالد :

كانت الملوك تسكن مأرب حيناً وحيناً صنعا . وإذا أرادوا الخلوة خرجوا إلى المقلاب بغيمان وحيناً يكونون بمارب فى قصر سلحين ، فاذا حانت خلوتهم خرجوا منه إلى المذوّب فى غمدان مأرب . وحيناً يكونون بظفار فى ريدان . فاذا حانت خلوتهم كانوا بأضرعة بهكر . وقد كانت للاقيال قصور شامخة تشابه فى عظمتها قصور العاصمة ، وكذلك زخرفها ، لأن الأقيال كانوا متمتعين بكل سلطة واحترام

وقد قرأت بالخط المسند : أن ملكا من ملوك ليشرح عقد لأحد الأقيال الملك لوفائه وإخلاص عشيرته

ومن قصور الأذواء النضد والنضيد ، كان فوق رأس جبل عصر غربى صنعا ، وفيه يقول دعبل :

منازل العز من غمدان والنضد فمأرب فظفار الملك والجند

وقصور بيت حنبص وبها آثار عظيمة ، وقد ذكر الهمدانى أنه قد بقى منها قصر عظيم . كان أبو نصر وآباؤه يتوارثونه من زمان جدهم ذى يهر ، وكان بنجارته وألوانه من عهد ذى يهر ، وكان فيه معاقم (عتبات) من بلاط قد انقطعت أوساطها من مواطىء الأقدام والحوافر على طول الدهر

قال : وقد رأينا كثيراً مثل هذا فى قصور اليمن

ومن قصور اليمن المشهورة قصور بيت حنبص السابق ذكرها . وقصور بيت محفد بالقرب من الأولى ، وهى لذى المحفد من آل ذى رعين

بينون

قال الهمدانى : فى شرق بلاد عنس ومقابل الكراع بحرّة كومان وهى أهجر بلدة

عظيمة وكثيرة العجائب كان يسكنها أسعد هى وظفار ، وفيها قطعتان عظيمتان فى جبلين نحتتا نحتاً فى أصولهما حتى تعامى أمرهما ، ولا تسلكها الحامل وهى الطريق المنحوتة

قال أسعد تبع :

ويينون مبهومة بالحديــــد ملاذ بها الساج والعرعر
شهران قصر بناه الذى بناه بيينون قد يشهر

وقد كان من مولانا صاحب الجلالة الناصر للدين أيده الله وأدام عزه بذل نفسه الشريفة لإخراج حضارة اليمن القديمة وتعريف العالم ما هو اليمن الذى تربع على عرشه ، فحل فى قلوب أبناء اليمن محل الأب الرءوف بأولاده فيسعد الشعب اليمانى بعصره الزاهر على الدوام . وطاف غير يينون ، وكان برفاقته أحد الخبراء فى الآثار وأنتج هذا العمل الشاق بهمة مولانا أمير المؤمنين الناصر للدين قبل عشرين سنة تقريباً أحسن النتائج ، إذ ظهرت عدة تماثيل من البرنز وكان منها الرأس الذى أهدى فى حفلة تتويج الملك جورج السادس ، وكانت هذه الهدية فى الدرجة الثانية بعد هدية أمريكا كما نشرت ذلك الصحف والمجلات مع صورة هذه الهدية ومكانها

دامغ

جاء فى الجزء الثامن من الاكليل ما يأتى : دامغ هو ضوران جبل آنس بن الهان بن مالك بن ربيعة . ويقول الهمدانى : إن اسمه مركبان . وهو جبل منيف فوق بكيل . وهمدان والهان أخوان ابنا مالك بن ربيعة . وفيه عمارة بالصخور العظام من أعجب البنيان ، وسكن فيه من حمير بطون وعمروا فيه . منهم ولد الملك ذو ذيبان بن ذى مراثد الحميرى صاحب قصور البون عمران ونجران ، وفيه بطون من ولد الهميسع بن حمير بأرض الهان ويسمى الهميسع بن حمير عند نساب عدنان آنس بن حمير

قال الحرث الرائش من قصيدة طويلة :

ومن مركبان يركب الأرض عن يد ودامغ أعنى ذو الأدحــــة يعمر

ودامغ ما بين صنعا وذمار ، وهو كثير الأنهار الجارية ، وكان يصلح فيه أيام حمير شجر الورس وسائر الفواكه . وفيه من معدن الحجر النفيس البقرانى ما لم يكن فى غيره . وقصوره كانت ثلاثة مشيدة فى الصخور العظام فى شرق الحصن : من جهة القبلى واحد ، وفى المصنعة السفلى واحد ، وتحته فى وسط العقبة السفلى قصر كبير

ويقول علقمة :

فتك الزمان بحمير وملوكها ضوران أدركه المنون الأكبر *

آثار ضهر[1]

لقد أطنب صاحب الإكليل فى وصف وادى ضهر وآثاره . ويقول إنه منسوب إلى ضهر بن سعد . ولا شك أن وادى ضهر جنة من جنان الدنيا ، يعترف بذلك كل من وصل اليه . وكان فيه نحو عشرين نوعاً من العنب . وفيه غيل (نهر) قد نقص بسبب زلزال إلى النصف ، وقيل إن سبب هذا النقص هدم سد ريعان . وذكر الهمدانى قلعته العظيمة قال : وكان اسمها دَوْرَم وهى حصن واسعة الرأس مطلة على هذا الوادى . قال طوق بن أحمد الحبشى النحوى صاحب أبى الحصيف ـ وكان من أرض مصر ، وقد وصل اليه ونظره وهو على الخراب ورأى ما فيه من العجائب ـ : دخلت أرض مصر والعراق والشام ، فلم أر مثل هذا الوادى

وكان فى القلعة المذكورة قصور الملك ، منها قصر ريدان وهو غير ريدان ظفار ، وقصور الحاشية ، وكان فى قصر منها ساحة مربعة يدور بها دكاكين من بلاط تكون البلاطة طول أذرع فيها قطوع لمقاعد القيول إذا طلبوا الوصول بالملك . وفى وسط الساحة بلاطة عشرة أذرع فى عرض سبعة يقال لها الرخامة محمولة من بلد ثار لأنها لا تشاكل أحجار ذلك الموضع

(١) وادى ضهر بالضاد . يقال كل ظهر بالظاء إلا وادى ضهر

قال علقمة :

تعرف فى آثارهم أنهم أساس ملك ليس بالمبتدع
يشهد للماضين منا بأن نالوا من الملك ونقب القلع
ما لم ينل غيرهم معشر يتبعون الدهر ليسوا تبع

وقال :

عمرت حمير تشيد قصوراً من رخام ومرمر وسِلام
صعدت فى ذرى الهواء إلى النجم فنطقن بالغمام الغمام
نحتوا الصخر فى الجبال بيوتاً فهموهـــا بقوة واعتزام
فاذا ما نظرت آثارهم قلت أرانى نظرت ذا فى المنام

ريام المنسك الأكبر

كانت فى اليمن بيوت عبادة يعظمونها ويحجون اليها وينحرون فيها قربانهم . ومن هذه المعابد ريام ، وهو المنسك المشهور ، وهو فى رأس جبل أتوة من بلد همدان نسبة إلى ريام بن نهفان بن بتع بن زيد بن عمرو بن همدان . وحوله مواضع كانت الوفود تحل منهـا حرمة . وقد ذكر الهمدانى . أن هناك قصر المملكة وقدام القصر حائط فيه بلاطة فيهـا صورة الشمس والقمر مرسومتان على جسر وسط المعبد ، وتظهر الشمس والقمر كل يوم حسب دورة الفلك . والله أعلم بصحة هذه الرواية

ومعلوم أن عبادة الشمس كانت مشهورة وكذلك القمر ، قال الله تعالى ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ﴾ وذكروا أن تبع تبان لما قدم إلى يثرب صحبه حبران من اليهود إلى اليمن لنشر الدين ، وبعد أن أسلم تبان خرب منسك ريام ، ولا تزال آثاره إلى اليوم . وقد كانت للعرب مناسك كثيرة فى سائر جزيرة العرب مثل اللات وذى الخلصة وكعبة غطفان التى بناها ظالم بن سعد بن ربيعة ، فسار اليهـا زهير بن جناب

الكلبي فهدمها . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لم يكن شيء من أمر الجاهلية وافق الاسلام إلا ما صنع زهير بن جناب الكلبي »

غيمان

ومن قصور اليمن المشهورة قصر يسمى غيمان ، واسمه المقلاب ، وكان عجيباً : فيه حائط مدور وفيه خروق أو كوى على جنبات المشارق والمغارب ، أى على درج الميل لتقع الشمس كل يوم فى كوة منها ، وفيه مقبرة عظماء حمير . قال أسعد تبع :

وغيمان محفوفة بالكرو　　م لها بهجة ولها منظر
بها كان يقبر من قد مضى　　من آبائنا وبها نقبر
إذا ما مقابرنا بعثرت　　فحشو مقابرنا الجوهر

وغيمان من جملة المحلات الأثرية التى كان لمولانا عاهل اليمن المحبوب أمير المؤمنين الناصر للدين أحمد بن يحيى أيده الله وأطال عمره الفضل الأكبر فى نشر آثارها بنفسه الشريفة وبصحبته خبراء ألمانيون . وبهذا المجهود العظيم كشفت أبنية ، وهى بقية قصور لا تزال أسسها ظاهرة فى غاية الحسن بألوان مختلفة فبعضها بحجارة حمراء والآخر خضراء الخ . كما عثروا على عدة تماثيل من البرونز ، ومنها الرأس الذى أهدى فى حفلة التتويج كما سبق ذكره . وتبعد غيمان عن صنعاء إلى الجنوب الشرقى مسافة ١٥ ألف متر تقريباً

صرواح

ومن آثار اليمن المشهورة صرواح ، وهى ما بين صنعا ومأرب . قال الهمدانى : لا يقاس بصرواح شيء من هذه المحافد ، غير أن صوتها بعيد فى أشعار العرب ، وقد بقى منها شيء قائم . وخولان تقول : إن أسعد بن خولان لما خرج من مارب تملك بها . وقد ذكرها شعراؤهم .

قال عمر بن النعمان أخو سعد بن سعد بن خولان :

لبلقيس كان الملك فى أرض مأرب ... وراثة أجداد كرام المعاطس
لقد أوتيت من كل شيء وأعطيت ... من الملك مالم يعط عمرو بن حابس
فأورثه عمرو الندى ابن اذينة ... وخولان فى أعلى رفيع المجالس
فمدَّ على صرواح نعمى مهابة ... فأورثها سعد زمام الفوارس
وأورثها سعد بنيه ولم يكن ... كمثل بنيه عند طعن الخوالس
لنا الفخر منها والصميمة فى العلا ... وحسن جنابيها وطيب المغارس [1]
أبونا الذى داخ العراق بخيله ... ودانت له ما بين حمص وفارس

هذا ويطول بنا لو عددنا الأماكن الأثرية فى اليمن فهى كثيرة مبثوثة فى نواحيه فنكتفى منها بهذا القدر

الاسداد

من مفاخر المدنية الغابرة فى اليمن الأسداد ، وقد ملأت اليمن طولا وعرضاً . قال الأستاذ جرجى زيدان : من أدلة العمارة فى بلاد اليمن الأسداد ، وهى جدران كانوا يقيمونها فى عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى الأرضين المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث فى بناء الخزانات . ولم يتركوا وادياً تذهب سيوله هباء . ولهذا تعددت السدود بتعدد الأودية حتى بلغت المائة ، وأولها سد مأرب على الأشهر ، وفيه يقول الأعشى :

كفى ذاك المؤتسى أسوة ... ومأرب قفى [2] عليها العرم
رخام بناها لهم حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم
فاروى الحروث وأعنابهم ... على ساعة ماؤهم ينقسم

---

(١) جاء فى الجزء الثامن من الاكليل خبابيها بدل جنابيها ولعله تصحيف

(٢) لعله عفى بدل قفى

و (سد الخانق) بصعدة وهو الذى بناه نوال بن عتيك على عهد سيف بن ذى يزن ومظهره بالخُنفر من جنات صعدة ، وقد خربه ابراهيم بن موسى بن جعفر بعد هدم صعدة . وسد ريعان . ولما خرب نقص غيل وادى ضهر إلى النصف

وأسداد بلد عنس ، منها سد جَيرة . وأسداد يحصب كما قيل :

وفى البقعة الخضراء من أرض يحصب   ثمانون سـداً تقذف الماء سائلا

فمن أكبرها قضان وريواب وهو سد قتاب ، وشمرار ، وطمحان ، وسد عاد ، وسد لحج وهو سد عراس ، وسد سحر ، وسد ذى سهل ، وسد ذى رعين ، وسد مفاضة عند قرية ذى ربيع ، وسد نظار ، وهرّان ، وسد الشعبانى ، وسد المليكى ، وسد النواسى ، وسد المهبد أو المنهال . وفى بلد همدان سد بيت كلاب فى ظاهر همدان وآخر فى ظاهر ردعان

سد مأرب

إن أعظم هذه الأسداد وأجلها هو سد مأرب المشهور فى كتب العرب وأشعارهم ، واليه أشار القرآن الكريم ، ولا تزال آثاره باقية . وكان يسقى مسافة خمسة أيام بلياليها . وسد مأرب آية فى العظم ، قال الأستاذ جبر ضومط : إن نسبة سد أسوان إلى سد مأرب كنسبة الطفل إلى الرجل الكبير

وقد اختلف المؤرخون فى زمن بنائه وبانيه ، كما اختلفوا فى زمن تصدعه : فمن قائل إنه بناه سبأ الأكبر ، وآخر إنه لقمان صاحب الأنسر ، إلى غير ذلك من الاختلاف . والأرجح أن تصدع السد المذكور كان فى أوائل القرن الأول للميلاد ، كما أن زمن بنائه بعيد . أما القول بأنه خرب فى القرن السادس بعد الميلاد فهو خطأ جداً ، لأن خراب السد كان حادثاً عظيما ترتب عليه تفرق الدولة الحميرية وهجرة الغسانيين إلى الشام واللخميين إلى العراق والأوس والخزرج إلى الحجاز . وانتقلت الدولة من مارب إلى ظفار وريدان ، واستمرت زمناً طويلا ، ولا تزال آثار السد باقية . وقد وصفه الهمدانى عند ما شاهده

وبين مصارف الماء والسواقى المدرجة . أما مقاسم الماء من مداخر السد فيما بين الضياع فقال : كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس ، ورأيت بناء أحد الصدفين وهو الذى يخرج منه الماء قائماً على أوثق ما يكون ولا يتغير إلى أن يشاء الله تعالى . وانما وقع الكسر فى العرم ، وقد بقى من العرم شىء مما يصالى الجنة اليسرى[1] يكون عرض أسفله خمسة عشر ذراعاً .

وكان السيل يأتى اليه من أماكن كثيرة من عروش وجوانب ردمان وشرعة وذمار وجهران وكومان وكثير من مخاليف خولان . واسم الوادى (أُذُنَة) وكان العرم مسنداً إلى الحائط بين عضاد بالمذخر بميازيب من الصخر عظام ملحمة الأساس بالقطر . هذا كلام الهمدانى

وقد أخذ المستشرق الفرنسى (أرنو) له خريطة عند ما شاهده . ونشرت هذه الخريطة فى المجلة الآسيوية الفرنسية فى سنة ١٨٧٤ . وجاء بعده هلفى وقلازر ووافقا آرنو فى صحة علمه وقوله كما وافقا على وصف الهمدانى ودقة ملاحظاته مما جعل المؤرخين يتهافتون على مؤلفاته مثل الإكليل وصفة جزيرة العرب

سد عصيفرة

ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى حاجة اليمن إلى الأسداد وإعادة تنظيم الرى فيها ، فقد فكرت حكومة صاحب الجلالة مولانا أمير المؤمنين الناصر للدين فوضعت عدة مشروعات لإنعاش اليمن وإعادة مجدها من هذه الناحية وكل ما يجلب لها الخير بقدر الامكان . وقد نفذ مشروع بناء (سد عصيفرة) فى منطقة مدينة تعز

فقد كان فى جنوب مدينة تعز منطقة واسعة تتجمع فيها المياه الراكدة فتشكل مستنقعاً يمد منطقة تعز بأخبث الملاريا ، إلى أن فكر مولانا المفدى الإمام أحمد وهو ما يزال ولى عهد الخلافة فجمع العمال والمهندسين وشقوا تلك الأرض وبنوا السد مما نعجز عن وصفه

---

(١) سميت الجنة لقوله تعالى ﴿ لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ﴾

وعظمته وفائدته العظيمة ، وقد استغرق بناؤه خمسة أعوام متوالية يعمل فيه ما يقارب أربعة آلاف عامل . وقد شاهدته قرب نجازه وقد كمل عمله فى أوائل خلافته المباركة والتى سيكون اليمن بفضل وبهمة مليكه المقدام فى قمة المجد وفى مقدمة الأقطار العربية الشقيقة . وما أن كمل بناء السد المذكور حتى جلب مولانا أمير المؤمنين الناصر للدين أيده الله بما لا يقل عن خمسين ألف ريال من الأشجار النادرة التى لا يوجد نظيرها فى اليمن ، وغرست فى تلك المنطقة وغيرها كصنعاء والروضة وغيرهما أدام الله ملكه لليمن نصيراً يقتدى بهمته فى كل حين

آثار الجوف

الجوف سهل واسع تبلغ مساحته نحو ٤٩٠٠ كيلو متر تقريباً ، وتربته خصبة صالحة لإنماء جميع الحبوب والفواكه ، ويجرى فيه نهر الخارد الذى يبلغ عرضه نحو مترين فى عمق متر . وتحيط بالجوف الجبال من ثلاث جهات ، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ١١٠٠ متر ودرجة الحرارة فى الصيف قد تصل إلى ٤٠ درجة مئوية ، وتهبط فى الليل كثيراً شأن أكثر مناطق اليمن . . ونسبة الرطوبة لا تتجاوز الخمسين فى المائة وربما كانت أقل من ذلك . وتعتمد الزراعة فيه على نهر الخارد فى مساحة قليلة . وبقيته على الأمطار والسيول الآتية من الجبال . والبذرة الواحدة تنتج غلتين وخصوصاً الذرة . وقد لاحظت أثناء زيارتى لآثار الجوف قلة الآفات الزراعية خصوصاً البكترية . ولهذا تكون منتوجات الجوف فى غاية الجودة ، إلا أن الجوف مهدد فى أكثر الأوقات بهجمات الجراد نظراً لقربه من محلات تفريخها . فالجوف متصل بالربع الخالى من جهتيه الشرقية والشمالية الشرقية . فالسيول العظيمة تشق الجوف وتذهب إلى الربع الخالى حيث تكون منطقة صالحة لإعادة أدوار الجراد

المدن الأثرية الباقية

مدينة البيضاء واسمها المكتوب على كل برج من السور (نشق) . تقع هذه المدينة

فى القسم الغربى الشمالى تقريباً . وهى أجل آثار الجوف الظاهرة . فسورها قائم كله كأن البناء فرغ منه أمس ، وفى هذا السور ٦٠ برجاً مستطيلة بارزة من أصل السور والفرق بين كل برج وآخر ٣١ متراً وقد قسته بنفسى . وارتفاع السور حول أربعة أمتار فقط لأن الرمال قد تراكمت حوله كالجبال بحيث يصعب معرفة ارتفاعه الحقيقى . ولم يهدم من هذا السور سوى ستة أبراج . وضخامة الأحجار وفن البناء مدهش جداً كسائر المدن الأثرية .
وفى كل برج حجر مكتوب عليه اسم المدينة واسم بانيها . وهذا نصه بالمسند :

وهذا شرحها :

أبيدع إل العظيم بن يتعمر الجليل مكرب سبأ بنى مدينة نشق

أما داخل المدينة فأطلال قصور فخمة أنقاضها متراكمة على أسسها ، وقد بقى فى وسطها قصر عظيم جداً هو بلا ريب قصر الملك ، ولا يزال فى وسطه اسطوانات عظيمة يبلغ ارتفاع الواحدة خمسة أذرع ، ولا نعلم قرارها بسبب ما اندفن منها . أما ثخنها فلا يحيط بها إلا رجلان . وإحدى هذه الأسطوانات مكتوب بالمسند جميعها . ولم نتمكن من معرفة ذلك بسبب ما انطمر منها فى التراب ، ويظهر أنها أسماء عائلات كما قرأت بعض الكلمات وكما ظهر فى الكتابة الموجودة فى مدينة معين فهى أسماء أهل المدينة وملوكها كما سيأتى

وقد بقى بناء فى غاية الجمال ربما يكون معبداً كما فى معين ، وسائر القصور كلها خربة ولا يمكن نقل أحجارها لكبرها . ويوجد خارج المدينة أطلال تكاد تختفى بسبب ما علاها من التراب . والحاصل إن آثار الجوف مدهشة جداً يعجز الواصف عن وصفها

مدينة السوداء

إلى الشرق من مدينة البيضاء بمسافة ساعة ونصف أى نحو ١٥ كيلو متراً توجد مدينة اسمها السوداء ، ولعل هذا الاسم حديث لأن أحجارها سوداء تقريباً . كذلك أحجار مدينة البيضاء . وهى مدينة عظيمة سورها مهدوم ما عدا القليل منه

أما مدخل الباب والمساحة فتقارب مدينة البيضاء ، وكذلك فخامة أحجارها وفن بنائها ، وفيها نقوش كثيرة إلا أنها مبعثرة ، ولهذا لم نتمكن من جمعها وقراءتها . وخارج المدينة فى المعبد كتابة بالمسند نرجىء نشرها وتفسيرها لفرصة أخرى

فى القسم الأول من الكتابة الأثرية سمهيفع ياصر بن وكله بيت (ود) . وليت شعرى هل (ود) اسم إله أو اسم علم ؟ والذى أرجحه أنه اسم الصنم بسبب اقترانه بالمعبود عثتر المشهور فى كل مكان . وفى القسم الثانى كلمة ابتناهن وهى تشير إلى ذكرى البناء

وفى القسم الرابع اسم علم يسمع إل وتتبعه عبارات غير منسجمة بسبب ضياع أكثر الحروف والكلمات ، ولهذا لم نتمكن من تكوين فكرة عنه واضحة بخلاف الكتابات الموجودة فى معين وبراقش لاتصال الكلمات . أما آثار هذه المدينة فطمورة تحت آكام من التراب ، وقد بقيت اسطوانات عظيمة قائمة فى عدة محلات منها

كمنـــا

إلى الشرق الجنوبى بمسافة متساوية كما فى مدينتى البيضاء والسوداء آثار مدينة تسمى كمنا ، وهى أصغر من السوداء ، وليس فيها ما يلفت النظر فكلها خربة قد اختفت جميع آثارها ، ولم نعثر على شىء فيها إلا مردم ضخم عليه بعض كلمات غير واضحة

بُنات عاد

إلى الشرق تقريباً من مدينة كمنا آثار مدينة لم يبق منها شىء قائم إلا أسطوانة عظيمة على مدخل الباب ، وكان هذا الباب مؤلفاً من ثلاث أسطوانات خربت اثنتان منها سنة ١٣٦٤ هـ . وكان سبب خراب هذا الباب المدهش صاعقة لارتفاعه فانه يشاهد

من بعد وسط الجوف كأنه منارة عظيمة . وقد وجدنا كتابات غامضة وأشكالا هندسية على الباقى من هذه الاسطوانات

أما المدينة فقد اختفت جميع آثارها وبنيت على أنقاضها قرية تسمى خربة همدان . وقد ظهر جدار قصر بديع فى تلك القرية كشفته السيول . وسعة هذه المدينة لا تقل عن مدينة كمنا وأنقاضها مدفونة بأكمة من التراب . وسمعنا من أهل الجوف أن أصلها خربة (هِرَمْ) وهذا الخط الآتى موجود فى الاسطوانة القائمة ، وهى أحد أركان الباب

مدينة معين

هذه المدينة تعد فى الدرجة الثانية بعد مدينة البيضاء ، وقد بقى من سورها نصفه تقريباً ، وليس له أبراج كالبيضاء . وفيها بابان متقابلان : أحدهما الباب الغربى والآخر الباب الشرقى . وبناء الباب الغربى فى غاية الحسن بأشكال مثلجة وفيه كتابة كثيرة متصلة . وعلى يمين الداخل درج واسع جداً نحو خمسه عشر ذراعاً . وجمال البناء وضخامة الأحجار فى السور والباب تثير الإعجاب

أما وسط المدينة فقصور مهدومة لم يبق منها سوى بناء مكعب الشكل يظهر أنه معبد فى وسط المدينة ، وفى وسطه اسطوانات متصلة بالسقف ، وسقفه مسقوف بمرادم مستندة إلى الاسطوانات . ودقة البناء وضخامة الأحجار تفوق الوصف . أما الباب الشرقى فهو خاو من التعاريج ، غير أنه مرتفع جداً . وقد أهملنا الكتابة الموجودة فيه وهى كثيرة عبارة عن أسماء عائلات وقبائل ، وقد ذهبت أكثر الأحرف من الكلمات

مدينة براقش

إلى الجنوب الغربى من مدينة معين على بعد ساعتين آثار مدينة عظيمة اسمها براقش ، وهى آخر مدينة فى الجوف وسورها تام كله تقريباً ، وفى السور عدة أبراج مستطيلة بارزة

كالبيضاء . وبراقش تأتى بعد معين فى قيمتها الأثرية وجمالها

وعلى سورها نقوش كثيرة إلا أن بعض الكتابات غامضة جداً . والبعض الآخر ناقص بسبب الخراب . أما داخل المدينة فلم يبق إلا بعض الاسطوانات العظيمة . وقد سكنها الأشراف وأعادوا بناء معظم المدينة ولكنه بناء ضعيف جداً ثم تركوها

انقراض الدولة الحميرية

خروج الحبشة

أجمع المؤرخون تقريباً على خروج الحبشة واستيلائهم على اليمن . وذلك أن الملك ذا نواس صاحب الأخدود هو الذى سبب حملة الفيل وواقعة نجران حيث أجبر نصارى نجران على الرجوع إلى الديانة اليهودية فلم يقبلوا ذلك لحفر أخدوداً وألقاهم فيه وأحرقهم ، فهرب منهم جماعة للاستنجاد بملك الحبشة وكانت على دين النصرانية . فكتب ملك الحبشة إلى ملك الروم يحرضه على غزو بلاد العرب . وكان الدافع الأكبر لذلك إضعاف نفوذ الفرس الذي كان المنافس الوحيد للرومان

وسواء كان توجه الحملة إلى اليمن ، أو الكعبة المشرفة فان نفوذ الأحباش لم يدم كثيراً على اليمن ، فقد قام الملك سيف بن ذى يزن وأخرج الحبشة بمساعدة ملك الفرس

غير أن دولة حمير كانت قد بلغت دور الهرم ، فاهتبل ملك الفرس هذه الفرصة ودبر الاستيلاء على اليمن ، وكان ذلك بعد موت سيف بن ذى يزن ، وبقى عماله على صنعاء وما جاورها . واستقل بعض أقيال حمير وتفرقت كلمتهم ، إلى أن ظهر منقذ الأمم وهاديها نبى الرحمة عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فدعا أهل اليمن إلى الإسلام فأجابوا الدعوة من دون قتال ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : الله أكبر جاء نصر الله وجاء أهل اليمن ، فعمّ الهناء ، والحمد لله رب العالمين

انتهى فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٦٨ هـ

فهرس